د. محمد العيد مطمر

ثورة نوفمبر 54

في الجزائر (1954 - 1962)

(أوراس - النمامشة)

أو

فاتحة النار





محمد العيد مطمر
ثورة نوفمبر 54 في الجزائر
(أوراس - النمامشة) أو فاتحة النار

ثورة نوفمبر 54 في الجزائر

(1962 – 1954)

(أوراس النمامشة)

أو

فاتحة النار

د. محمد العيد مطمر

ثورة نوفمبر 54 في الجزائر

(1962-1954)

(أوراس – النمامشة)

أو

فاتحة النار



الإهداء

إلى شهداء تحرير الجزائر، وإلى المجاهدين الذين جالستهم ولن يتكرر اللقاء معهم في موعد آخر، وإلى كل من ساهم في بناء مجد الجزائر، أقدم هذا العمل.

الدكتور محمد العيد مطمر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

تحتفل الجزائر في يوم الفاتح من نوفمبر 2014م بمرور ستين عاما على اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، والجزائر، تستنشق عبير الذكرى عملاقة كعهدها، صلبة كما كانت منذ فجر التاريخ، معتمدة على رصيدها الثوري الثري بالبطولات والأمجاد، متطلعة إلى المستقبل بأمل كبير، وتفاؤل لا حدود له.

في هذا اليوم التاريخي تحتفل الجزائر، وهي تتذكر وتترحم على الشهداء الأبرار، الذين قدموا حياتهم بسخاء، حتى يعيش أبناء الجزائر أحرارا في وطنهم، أعزة فوق أرضهم، وقد كان الثمن باهظا، يتناسب مع ضخامة أكثر من مليون ونصف المليون شهيد، رووا بدمائهم الزكية، شجرة الحرية والكرامة، حتى أينعت ثمارها، وآتت أُكلها.

ولأن الشعب الجزائري، حين يحتفل بهذه الذكرى التاريخية، فإنما يعبّر عن الترابط القوي بين مراحل تاريخه بتمجيده لماضيه، وبتقديره لحاضره، والتطلع إلى المستقبل الواعد، جاء نوفمبر يدعو إلى الثورة والتحرير، وكان المشكاة التي أنارت السبيل، وحددت الأهداف، وخططت ليوم

الفصل، ورسمت مسالك النصر والاستقلال، التي ضربت بمجاهدينا موعدا مع التاريخ، مرة أخرى في غرة نوفمبر 1954م.

كان نوفمبر عظيما بمقدار عظمة الجزائر، كان الفارس الذي لم يتأخر في ساعة العسرة، وقدّم للجزائر في محنتها وشدائدها، كل غالٍ وثمين، جعلها تصمد في قوة، وتثبت في شجاعة، وتواجه جيوش أوروبا – الحلف الأطلسي ببسالة، وتدفع بأبنائها الأُباة، روّاد النصر وحماة العقيدة إلى ميادين المجد والكرامة، وكانت كلمة السر[1] ليلتها (خالد – عقبة)

كلمة السر هذه، كانت داخل صمت الصمت، ظلت تدور وتتشابك في مخيلة ثلّة من أبناء الجزائر الغيارى، الذين شاركوا بأخلص مجهوداتهم، وبأنفس ما يملكون، لإنجاح هندسة نوفمبر، وما تلاها من بطولات واعتبارات ورموز، كلمة يلفها السر المستور، ويطويها الكتمان، في خبايا مخزون الذاكرة، التي يتشكل منها مستقبل الجزائر، إنهم القادة: مصطفى بن بولعيد من المنطقة الأولى (أوراس – النمامشة) مراد ديدوش من المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) كريم بلقاسم من المنطقة الثالثة (القبائل) رابح بيطاط من المنطقة الرابعة (الجزائر وضواحيها)

(1)- كلمة السر: استعملت في الثورة التحريرية بأمرين: الأول – الإشارة القولية: وهي كلمة سرية، متفق عليها مسبقا، يحصل بها التفاهم، أثناء اللقاءات الليلية والمفاجئة. الثاني – الإشارة المادية: عبارة عن قماش أولباس يتفق على حجمه أولونه مسبقا، وتكون له دلالة بين المسبلين وأفراد جيش التحرير الوطني.

محمد العربي بن مهيدي بالمنطقة الخامسة (وهران وضواحيها) ومعهم الساسة التاريخيون: محمد بوضياف، أحمد بن بلة، محمد خيضر وحسين آيت أحمد (أطال الله عمره) هؤلاء التسعة، هم نواة (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) التي تحولت في ليلة أول نوفمبر 1954م إلى جبهة التحرير الوطني وإلى جيش التحرير الوطني، لتنطلق نار الثورة، بعد مرحلة طويلة من المخاض العسير، وستبقى بطولات القائد مصطفى بن بولعيد خالدة في الأوراس، قدر خلود اسم القائد محمد العربي بن مهيدي، ورفاقه الميامين في قلوب الجزائريين.

إن هذه الصفحات، تحمل الكثير من غبار الثورة التحريرية، وتمثل في مجموعها، وثائق يد لمست، وعين رأت، وأذن سمعت، وكاتبها لا يبغي من وراء ذلك، إلا التذكير بتاريخ أمجادنا، ولنا أن ندرك، أن ما كتب، وما يكتب من أدبيات الثورة التحريرية الكبرى، سيشكل انعطافا كبيرا في تاريخ الجزائر الثقافي، لأن ثورة نوفمبر نفسها، انعطافة عظمى في النضال العالمي المعاصر، وتستحق، أن تكون بحق، درّة في تاريخ الإنسانية.

لا يسعني، وأنا أنهي هذا العمل - ومن واجب الوفاء والعرفان بالجميل- أن أقدم شكري الجزيل للسيد الحسين مازوز، والي ولاية باتنة، الذي كان نعم المسؤول في تحمله للأمانة التاريخية – كما عهدناه دوما – فأعطى دفعا قويا للتشجيع على مواصلة البحث

والكتابة في تاريخ الثورة التحريرية، والعمل على إظهار انجازات مرحلة الاستقلال في البناء والتعمير والتشييد، كنتيجة حتمية لنضال وكفاح الشعب الجزائري.

إن ثورة أول نوفمبر الكبرى، نبقى نستمد منها كل اعتزازنا بماضينا وبمستقبلنا، وبها دخلنا إلى التاريخ من بابه الواسع الكبير برؤوس عالية واعتزاز قوي، وتعتبر الذكرى الستون لاندلاع الثورة التحريرية، فرصة للتواصل بين الأجيال، التي تستمد من الرصيد الثقافي – التاريخي القوة التي تراكمت بتعاقب الأيام وكرّ السنين، خلال الكفاح التحرري لمواجهة تحديات العصر، برعاية جذوة الروح الوطنية، لتبقى مُتَّقِدة، تقتبس منها الأجيال، نورا تضيء به دروب المستقبل، وتتناقل ما حوته من مُثل وقيم، ما أشرقت شمس يوم جديد.

والله ولي التوفيق

الدكتور محمد العيد مطمر
أستاذ محاضر بجامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر
رئيس الجمعية الثقافية للبحوث التاريخية
باتنة في خريف 2014م

التعريف بجبال الأوراس
التعريف بجبال الأوراس

لقد إهتم العلماء الأجانب بالكتابة عن منطقة الأوراس[1] وعالجوا في كتاباتهم المجالات التي تخدم مصالحهم الخاصة، ذات الطابع الإستعماري البحت، حيث كتبوا عن الجغرافيا الطبيعية (الجغرافيا العسكرية) والعلوم الإنسانية وخاصة الأنثربولوجيا (علم دراسة الأجناس).

إن المادة الأولى، تساعدهم على فهم طبيعة الأرض، التي إحتلوها واستولوا عليها، فبها يعرفون جبالها وثناياها وأوديتها ومضايقها وسهولها وهضابها ليستطيعوا تتبع المقاومين بسهولة، أما المادة الثانية فتساعدهم على فهم طبيعة السكان[2] ومع إيماني بأن أحداث التاريخ، لا تتكرر ولا تتبدل لاستحالة إعادة عوامل التجربة التاريخية نفسها، فإن ثمة عامل أساسي يبقى فيها لا يتغيّر، وأعني به الطبيعة الجغرافية، التي هي العامل الثابت، والإنسان، يمثل فيها العامل المتحرك، وأعني بالثابت جبال الأوراس، والمتحرك، سكان الأوراس.

(1)- مصطلح الأوراس : يطلق جغرافيا على المنطقة المحصورة بين باتنة وخنشلة شمالا، وزريبة الوادي شرقا، وبسكرة جنوبا، وباتنة غربا، بحيث تكون شكلا رباعيا بطول مائة كيلومتر للضلع الواحد، أما سياسيا، فيطلق الأوراس على الولاية الأولى التاريخية (أوراس–النمامشة) أثناء الثورة التحريرية (1954م- 1962م).

(2)- قال أحد الذين شاركوا في خطة عملية إغتيال القائد مصطفى بن بولعيد بالجهاز الملغم: كنا نعرف، أن سكان الأوراس يحترمون كبيرهم، ويبجلونه ويقدمون له الأحسن، وعليه، فإن الجهاز، لا محالة واصل إليه.

جبال الأوراس: عبارة عن كتلة جبلية، ذات تضاريس مختلفة ومتنوعة، وتعتبر همزة وصل بين الأطلس التلي والصحراوي، ممّا أهلها أن تلعب دورا هاما في الثورات ضد الغزاة، وذلك لأن طبيعتها صخرية صعبة الإختراق، وتشرف هذه الجبال في سفوحها الجنوبية على إقليم الزيبان، الذي يشتهر بواحاته.

وتلتقي جبال الأوراس في غربها بسلسلتي جبال الأطلس التلية الشمالية، والصحراوية الجنوبية، وتمتد شرقا عبر جبال الشريعة والنمامشة وتبسة إلى داخل تونس، وتعرف باسم جبال التل العليا، وشمالا إلى منطقة الهضاب العليا الشرقية، التي تضم ثلاثة كتل جبلية، هي جبال الحضنة، وجبال البابور، وجبال البيبان، ويتراوح ارتفاع منطقة الهضاب العليا بين (900م و1200م) وتمتاز السفوح الجنوبية بوجود أشجار النخيل، كما هوفي منطقة غوفي وتيفلفال وبانيان ومشونش، ومن أهم مراكز العمران في الأوراس، مدينة باتنة عاصمة الولاية.[1]

تقع كتلة الأوراس على الجانب الشرقي من منخفض باتنة والقنطرة، ويتمركز محورها في الجبل الأزرق، وهي تمتد كسلسلة ذات اتجاه شمالي – شرقي وجنوبي – غربي، على مسافة كبيرة، وتمثل أعلى

---

(1)– ولاية باتنة: كانت أثناء الثورة التحريرية، ضمن الولاية الأولى (أوراس– النمامشة) التي تضم جبال الأوراس وجبال الشريعة وجبال الحضنة وجبال الهضاب العليا، يحدها شرقا، تونس، وغربا، المسيلة وشمالا، قسنطينة وبرج بوعريريج، وجنوبا، نقرين وسطيل، وقائدها غداة اندلاع الثورة التحريرية، مصطفى بن بولعيد، ومقر الولاية التاريخية (1954 – 1962 م) بعمق غابة كيمل.

قمة فيها، قمة كلثوم بجبل شليا، إذ ترتفع عن سطح البحر بـ (2328) متر، وتعد أعلى قمة في الشمال الجزائري، وتمتاز هذه المنطقة بارتفاعاتها المتباينة، حيث تتدرج في الانحدار من المرتفعات الشمالية الغربية نحو منخفض باتنة.

تظهر مرتفعات جبال الأوراس من جديد في الجنوب الشرقي من مدينة باتنة، المتمثلة في جبل (إيشن علي) وقمة (قدلان) وتعد هذه السلسلة بمثابة العمود الفقري للكتلة الأوراسية، وتخترق هذه المرتفعات بعض الأودية، التي تنحدر نحو الشمال الشرقي، مثل وادي القرزي الذي يخترق باتنة ليصب في سهول عين القصر (المعذر) ونجد بعض هذه الأودية تتجه نحوالجنوب الغربي كوادي (بني فضالة) ومنخفض (وادي عبدي) الذي ينبع من جبل المحمل، متجها نحو الجنوب الغربي، أما منخفض الوادي الأبيض، ينبع من مرتفعات شليا في اتجاه الجنوب الغربي، ويجري بين سلسلتين جبليتين، الجبل الأزرق في الغرب، وجبل أحمر خدو في الشرق، ثم يصب في سد الخرزة قرب شتمة، بولاية بسكرة، وقد لعبت الأودية والمنخفضات دورا هاما في ربط الطرق التجارية والعسكرية بين أجزاء المنطقة، ولكي يضمن الإستعمار الروماني بقاءه في المنطقة، قام ببناء مجموعة من المعسكرات والحصون، وأهم هذه المراكز العسكرية، معسكر تازولت (Lambèse) وتيمقاد (Timgad)[1].

---

(1)– لمزيد من التفاصيل حول مدينة تيمقاد الأثرية والتاريخية، أنظر: د. محمد العيد مطمر، رحلة إلى تيمقاد، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2011م.

تمتد مرتفعات جبال الأوراس، من الجهة الشرقية لمرتفعات جبال الحضنة غربا إلى مرتفعات الشلعلع، وتتصف بالانحدار التدريجي نحوالسهول العليا شمالا، ويحدها من الجنوب منخفض (تيميزواغ) و(كاسرو) و(بلزمة) وتتشكل هذه المرتفعات من جبل وستيلي، وقمة الرفاعة، وجبل الشلعلع وجبل مستاوة، وتترك هذه الجبال فيما بينها سهولا، مثل سهل بلزمة وزانة ومنخفض واد الشعير، وتعتبر هذه السهول والمنخفضات من أخصب الأراضي الزراعية، ونظرا لأهمتها، قام الاستعمار الفرنسي بالاستيلاء عليها، وبنى فيها مراكزه الاستيطانية، مثل مروانة (كورناي – Corneille) ووادي الماء (بيرنيل –Bernille) وسريانة (باستور –Pasteur) وتمتاز هذه المنطقة بغاباتها الكثيفة المتنوعة الأشجار، مثل الصنوبر الحلبي والبلوط والعرعار.

توجد في جبال الأوراس الشرقي غابة لبراجة، وهي أكبر غابة في الأوراس، وغابة كيمل، التي كانت ملاذا للثائرين الوطنيين عبر العصور. وقام قادة الغزو والاحتلال الفرنسي في الأوراس، ببناء مراكز معسكراتهم مثل باتنة وعين التوتة (mac mahon)، بالإضافة إلى الثكنات العسكرية الصغيرة وأبراج المراقبة المنتشرة في كامل المنطقة، والتي اتخذها الفرنسيون مراكز للحراسة ومراقبة السكان.

سكان الأوراس: إن أول مظاهر الحياة، التي وجدت في الجزائر، يعود تاريخها إلى تاريخ مضى عليه حوالي عشرة آلاف سنة، حيث تشير بعض الآثار والرسوم، التي تم اكتشافها في منطقة (تاسيلي- الهقار) جنوب

الصحراء الجزائرية إلى وجود السكان منذ حوالي ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد. وكانوا يعتمدون في معيشتهم على الصيد، خاصة صيد النعام.

كان السكان الأمازيغ في المنطقة الشمالية، التي من ضمنها منطقة الأوراس، منذ أقدم العصور، وقد ساعدهم على الارتقاء في مدارج الحضارة، تنوع الطبيعة من جبال وسهول وأحواض جبلية وعيون وأودية وكهوف، خاصة كهوف سفوح الأوراس الجنوبية، والقبائل الأمازيغية التي سكنت جبال الأوراس[1] أكثر من أن تحصى، منها:

قبيلة زناتة: هي أكثر قبائل الأمازيغ حضارة وعمرانا، وهي منتشرة في نواحي تلمسان والأغواط وأوراس والزاب، ويذكر إبن خلدون سكان المغرب الأوسط، وهم أهل الجزائر، فيقول: (...وأن المغرب الأوسط في الأغلب ديار زناتة) وقبيلة جراوة متفرعة من قبيلة زناتة، وقد وفدت من طرابلس، يقول إبن خلدون: (وكان موطنهم من لدن جهة طرابلس إلى جبل أوراس والزاب إلى قبلة تلمسان، ثم إلى وادي ملوية)[2] ثم قال: (وكان موطن جراوة جبل أوراس)[3] وإليها تنتسب الملكة ديهيا (الكاهنة) 660-702م.

(1)- الصحراء الجزائرية: تبلغ مساحتها (1.978.600)كيلومتر مربعا ، وبذلك تغطي مساحة قدرها أربعة وثمانون بالمائة تقريبا من المساحة الإجمالية للجزائر، وقد اكتشف بها البترول بمنطقة حاسي مسعود في 26 جوان 1956م.

(2)- عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون (العبر) المجلد السابع، طبعة بولاق، ص 8 – 10.

(3)- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار العلم، بيروت، لبنان، ط 4، عام 1981م ص 357-359.

قبيلة هوارة: وهي بطن من قبائل الأمازيغ البرانس، تنتسب إلى هوار بن أوريغ بن برنس جد البرانس، وتتفرع إلى عدة بطون أخرى مثل: غريان وروفل وسراتة وسلاتة ومجريس، وأن هوارة وصنهاجة ولمطة وكزولة يعرفون جميعهم بـ (بني ينهل) وأن (المسور) هوجدهم جميعا، ونزحت قبيلة هوارة من موطنها الأصلي، طرابلس وبرقة، وسكنوا جبل أوراس، وما حوله من المدن والقرى مثل: بغاي، وطبنة، وخنشلة ومنعة ونقاوس وبلزمة إلى حدود الزاب الشمالية، وكان لقبيلة هوارة، رؤساء يقال لهم (الأوس) ويعرفون ببني مسالة، وهم على بعد عشرة أميال من مدينة تيهرت، كما تواجدت هذه القبيلة في جبل الونشريس والمسيلة وجبل أوراس وغيرها، حسب ابن خلدون.

قبيلة كتامة: فهي من أكثر القبائل الأمازيغ عددا وأشدهم بأسا وقوة، وكانت تقطن الساحل البحري من بونة (عنابة) إلى بجاية، وهي متوغلة في داخل الوطن الجزائري طولا وعرضا، ومن مدنها الشهيرة جيجل والقل وسكيكدة وسطيف وقسنطينة إلى جبل أوراس.

كان للأمازيغ حضارة راقية ودولة قوية، تمثلت ذروتها في تشييد الضريح النوميدي (إيمدغاسن–Le Medracen)[1] الذي يشهد أن (الدولة النوميدية– L'Etat Numidie) كانت قوية بجيشها محكمة في

(1)- ضريح إيمدغاسن: يقع شرقي مدينة باتنة بـثلاثين كيلومتر فوق هضبة، مما جعله يُشَاهد من بعيد، بني في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد.

تنظيمها، لها من القوة والنفوذ، ما مكنّها من أن تضاهي حضارات أخرى، إلا أن يد الإمبراطورية الرومانية[1] امتدت إلى مملكة نوميديا الموحدة، وقامت ثورات لمواجهة تغلغل الرومان في الأوراس، من أهمها ثورة (تاكفاريناس) بين عامي (17 - 24 م) التي عمت السهل والجبل، فانتصر عدة انتصارات على القوات الرومانية، وقاومهم في مختلف الجهات طيلة سبع سنوات، إلا أن الرومان تمكنوا من إخماد بعض هذه الثورات، وأسسوا مدينة تاموقادي (TIMGAD) سنة 117م واستمر سكان شواهق الأوراس في المقاومة، محافظين على استقلالهم، وكانوا دوما مبعث الثورات ونواة الحرية والإستقلال.

(1)- الامبراطورية الرومانية (146ق. م– 434 م) برزت ابتداء من سنة (350 ق.م) وغدت قوة برية لها من القدرة ما مكنها من أن تصبح سنة(201 ق.م) سيدة غرب البحر الابيض المتوسط، وتوسعت شرقا وغربا، دام الحكم الروماني حتى عام (434 م) حيث انتهى بالاحتلال الوندالي.

رؤى عبر الزمن الأوراسي الأول
رؤى عبر الزمن الأوراسي الأول

استقر السكان الأمازيغ في المنطقة الجغرافية الممتدة بين برقة شرقا، وجبال الأطلس غربا، منذ أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، ومارسوا تدجين الحيوانات الأليفة (بقر، غنم، خيل) كما مارسوا الزراعة (قمح، شعير، تين، زيتون).

بقي الأمازيغ على حالهم، حتى وفد عليهم قوم قادمون من الشرق، وهم (الفينيقيون -Les Phéniciens) الذين أسسوا عاصمة لهم وهي (قرطاجة - Carthage)[1] وبدأوا يتقدمون نحوالغرب، حيث أسسوا عددا من المحطات التجارية على طول الساحل الجزائري، كان أهمها من الشرق باتجاه الغرب، المدن التالية: (هبوريجيوس -Hippo Regius) عنابة (روسيكاد) سكيكدة (شوللو) القل (اجلجيلي) جيجل (صلداي) بجاية (روزوكرو) دلس (إيكوسيم) الجزائر العاصمة، وغيرها من المدن، وبذلك تكونت (الحضارة البونيقية- La Civilisation Punique) في ظل الدولة النوميدية.

أثناء حكم الدولة النوميدية، تم تشيد ضريح (إيمدغاسن) في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، وتأصلت العلاقة بين نوميديا وقرطاجة، إذ أن الوسط القرطاجي، يمتاز بانهماكه في العمل، والتفاني

(1)- الدولة الفينيقية القرطاجينية : كانت فترة حكمها بين (880 - 146 ق.م).

في حب الصناعة والفلاحة والإكثار من الأسفار، وعقد الرحلات في سبيل التجارة.

لقد تساءل الناس كثيرا في شتى الأزمنة، حول حقيقة مثل هذا الأثر التاريخي، وهل كان يحتوي على كنوز انتهبت منذ أزمنة طويلة؟ أو لازال يحتفظ بأسراره! إن هذا الضريح، قد يعود إلى أسرة ملكية نوميدية، أنفقت أموالا طائلة في سبيل دفن موتاها في إطار لا يختلف عن التقاليد المعهودة آنذاك، إلا أن أبرز جانب يتجلى للزائر، هو اتسام هذا الأثر، الذي لا يخلو جماله عن البساطة والروعة بطابع الوجود، وهذا الطابع، يجعل من الضريح بما يحمله في أحضانه من جلال وأسرار، أثرا من أجمل الآثار التي تركها الإنسان في شمال إفريقيا، إنّ هذا الهرم المدرج الضخم، يكفي لإعطاء صورة دقيقة عن تقدم وازدهار الحضارة النوميدية، وعلى تمكينها من استعمال المعادن لتقوية المباني.

وقد ازدهرت دولة نوميديا في زمن ملكها (ماسينيسا–Massinissa) (227 – 149 ق. م) الذي جعل من سيرتا (Cirta) أي قسنطينة حاليا، عاصمة للمملكة الموحدة، وكان عهده من أكثر العهود الوطنية ازدهارا وامتدادا، حيث حكم حوالي خمس وخمسين سنة (203 _ 148 ق.م) وعمل على تقدم الدولة بتشجيعه الزراعة وغرس الأشجار والتجارة، خاصة التجارة الخارجية بين نوميديا وكل من أثينيا (Athènes) ورودس(Rhodes) ومرسيليا (Marseille) كما عمل على

ضرب العملة باسمه، وجعل من (سيرتا) عاصمة عالمية للثقافة، حين جمع كبار علماء عصره فيها.

حدث، أن كانت أول دولة تصطدم بها الإمبراطورية الرومانية في إفريقيا الشمالية، هي قرطاجة الفينيقية، التي كانت تسيطر على التجارة في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، وقد دامت الحروب بين روما وقرطاجة بين عام (264 - 146 ق.م) وكان أشهر أحداثها، عندما تمكن القائد القرطاجي (هانيبعل– Hannibal)، وعمره وقتذاك خمس وعشرون سنة، أن يغزوإيطاليا بأفياله الزاحفة من إسبانيا عبر جنوب فرنسا، وجبال الألب، وقد انضم إليه (الغاليون – Les Gaulois) بفرنسا، وكانت المعركة الفاصلة في (كاناي- Cannae) بإقليم (أبوليا – Apulia) وقد أسفر هذا عن إبادة جيش الرومان بما فيهم قائدهم (باولوس- Paulus) [1]

بقي (هانيبعل) مسيطرا على إيطاليا، ومهددا وجود روما بين عامي (218 - 202 ق.م) حتى اضطر إلى إخلائها ليدافع عن قرطاجة العاصمة عندما غزاها الرومان، إذ قاموا بهجوم معاكس، فهجموا على قرطاجة وحاصروها، مما جعل (هانيبعل) يسرع في العودة ليدافع عن عاصمته، لكن الرومان نصبوا له الكمائن في الطريق برا وبحرا وأوقعوا به، مما

(1)- وليم لانجر، موسوعة تاريخ العالم، الجزء الأول، ترجمة محمد مصطفى زنودة، مكتبة النهضة، القاهرة، 1954، ص 127 - 128.

أنهك جنده... لكن المقاومة استمرت، وبعد أكثر من خمسين سنة تمكن الرومان، بها لهم من إمكانيات حربية هجومية، أن يسقطوا قرطاجة، وليس هناك ما يقيها شر سقوطها، وأن يبسطوا سيطرتهم على كل إفريقيا الشمالية وإسبانيا.

بعد سقوط قرطاجة عام (146 ق.م) احتلت الجيوش الرومانية الأراضي التي كانت تابعة لها (تونس حاليا) ثم بدأت تتقدم غربا على حساب دولة نوميديا، وقد حاول بعض الملوك المحليين الوقوف في وجه الاستعمار الروماني، الذي أخذ شكلا استيطانيا، وكان أهم الملوك الوطنيين، الذين حاولوا الوقوف والصمود أمام هذه القوات، الملك (يوغرطة - Jugurtha) الذي خاض حربا بطولية ضد روما، وذلك بين (116_ 106 ق.م).

تبوأ الملك يوغرطة عرش سيرتا (قسنطينة) سنة (112 ق.م) وأعلن استقلال الجزائر التام، حينئذ لجأت روما إلى المخادعة والمراوغة، وتفننت في أنواع المكر والدهاء، واستعانت ببعض العملاء المقربين منه[1] فتغلبوا عليه، واحتلوا المناطق الساحلية، بما فيها من مدن وقرى مركزية ذات شأن اقتصادي، لكن الجزء الداخلي من المنطقة بقي مستقلا، تحت رؤسائه المحليين، من هؤلاء (يوبا الثاني – Juba II 23 - 25 م) بعدها ضُمّت دولة

(1)- تم تسليم الملك (يوغرطا) من قبل صهره والد زوجته (بوكوس) سنة 106 ق.م إلى الجيش الروماني، فأخذه هؤلاء إلى سجن روما، فمات به في اليوم السابع من شهر جانفي سنة 104ق.م.

نوميديا إلى الإمبراطورية الرومانية في عهد (يوليوس قيصر Jules César) الذي جعل منها منطقة عسكرية، يمارس فيها السلطة قائد الفيلق الثالث أو (الفرقة الثالثة الأغسطية – Augusta III) لينتقل مركز القيادة الشرقية إلى مدينة (تافست – Theveste) أي تبسة حاليا، ومنها تقدم الجيش الإمبراطوري لاحتلال مناطق شمال الأطلس الصحراوي في حملات متتالية، فتمّ احتلال المنطقة، وتشييد معسكر (لامباز– Lambèse) عام 81 م قرب مدينة تازولت حاليا، وإليه تحولت قيادة الفرقة الثالثة الأغسطية لتدعم الاحتلال، وتقمع الثورات الوطنية.

لم يبسط الرومان نفوذهم على كامل منطقة الأوراس، بل احتلوا المناطق التي لا تكلفهم كثيرا وتدر عليهم أرباحا، فشيدوا مدينة تيمقاد في موقع استراتيجي على الطريق الروماني، الذي يمر شمال الأوراس، ويربط المدينة بخنشلة وتبسة وقرطاجة شرقا، ولامباز والقنطرة غربا، وكانت مهمة الجيش المتمركز في المدينة، مراقبة طرق الأوراس الجبلية، وكان القصد من هذا خنق الثوار، خاصة وأنّ سكان الأوراس هم الذين أوقعوا بالرومان في معارك عام 265 م إلى جانب سكان ميلة وسطيف وقسنطينة، وسرعان ما اندلع لهيب الثورة الوطنية في البلاد ضد الغزاة البيزنطيين، وكان الأوراسيون لهم بالمرصاد، ففي سنة 484 م أعلنت المماليك الأمازيغية استقلالها وتحررها من سلطتهم، وكانت ثمانية منها: مملكة النمامشة في شرق جبل أوراس، وملكها (قزطيناس) وكان

(يابداس) من أشهر ملوك الجزائر وزعمائها المستقلين بجبل الأوراس، وكانت مملكته أول من ثار على البيزنطيين، ودكّ معاقلهم العسكرية في تاموقادي وبغاي، بل أغارت الجيوش الأمازيغية عليهم في جميع الجبهات الشرقية، وتقدموا إلى أبواب قرطاجة، فحاصروها، لكن الحرب خدعة، حيث غدروا بزعيم الأوراسيين (يابداس) في عام 540م واحتلوا معقله (أوراسيوس) واحتلوا كذلك المسيلة، و أخضعوا معها الزاب[1] وظلت البلاد في ثورات مستمرة ضد الغزاة.

وبذلك كانت جبال الأوراس، مليئة بالنضال والتضحيات، وقد حمت الثورات، وناضلت مع الانسان الجزائري، والتقى الإنسان والطبيعة في موقف واحد، فأصبحت الإرادة واحدة، تقاوم الظلم والاستبداد، وتحققت آمال الأجيال في المقاومة المتواصلة ضد الغزاة من الرومانيين (164ق.م) والوندال (429 م) والبيزنطيين (533م)[2] وجاء الفتح الاسلامي (702م) وعند حلول العثمانيين الأتراك (1518م) وخلال الغزو الفرنسي للجزائر في القرن التاسع عشر.

---

(1)- أنظر، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1965، ص 136-142.

(2)- البيزنطيون: هم قوم من الرومان الشرقيين، أنشأوا دولة خاصة بهم في الولايات الرومانية الشرقية، وجعلوا من (بيزنطة — Bysance) – وهي اسطنبول حاليا– عاصمة لهم، ودام إحتلال البيزنطيين لإفريقيا (الجزائر) حوالي مائة وعشر سنوات، (532-647 م) وبعدها انتقلت المنطقة إلى الحكم الاسلامي.

الغزو والاحتلال الفرنسي للجزائر

الغزو والاحتلال الفرنسي للجزائر

كان سقوط القسطنطينية[1] عاصمة دولة الروم المسيحية الشرقية عام 1453م بيد العثمانيين المسلمين، قد سبب ردّة فعل دينية شديدة في أوروبا، حيث طلب البابا من الملوك المسيحيين، محاولة انتزاع أراض إسلامية في المغرب، مقابل ما فقدته المسيحية في المشرق، وتمّ طرد المسلمين من الأندلس، وسقطت غرناطة آخر حصن إسلامي بيد الجيوش الإسبانية سنة 1492م ثم أصدرت الحكومة الإسبانية مرسوما في سنة 1499م يقضي بتنصير أبناء المسلمين، الذين اختاروا البقاء هناك بشكل قسري.

وبعد سقوط الأندلس، تقاسمت الدول الأوروبية مناطق النفوذ في المغرب العربي الإسلامي، حيث أعطيت البرتغال، حق التوسع في المغرب الأقصى (مراكش) وأعطيت إسبانيا، حق التوسع في المغرب الأوسط (الجزائر) وأعطيت إيطاليا، حق التوسع في المغرب الأدنى (تونس وليبيا) وبالفعل بدأ تنفيذ هذا المخطط الاستعماري، بحيث احتلت اسبانيا ميناء المرسى الكبير عام 1505 م ومدينة وهران عام 1509م وبجاية عام 1510م مما اضطر بقية الموانئ الجزائرية مثل دلس وشرشال ومستغانم من أن تدفع الجزية لإسبانيا.

---

(1)- القسطنطينية (Constantinople) هي عاصمة بيزنطة المسيحية سابقا، وسميت (الأستانة) بعد فتح العثمانيين المسلمين لها، وتدعى اليوم (اسطنبول Istanboul).

إزاء هذه الهجمات الشرسة بأراضي المغرب العربي الإسلامي، استنجد زعماء محليون بالسلطان العثماني الذي كلّف أحد قواده البحريين، واسمه (عروج) بنجدتهم، وتقدم برفقة أخيه (خير الدين) حيث استرجع جيجل من القراصنة (Les perates) عام 1513م كما دخل مدينة الجزائر نفسها بناء على طلب بعض أهاليها، وبذلك تعتبر الجزائر، قد دخلت تحت حكم العثمانيين الأتراك منذ ذلك الوقت، حتى حلول الاستعمار الفرنسي عام 1830م.[1]

إن ذريعة (ضربة المروحة)[2] التي وجهها الداي حسين باشا إلى قنصل فرنسا (دوفال - Duval) يوم 30 أفريل 1827م لا يمكن أن تكون السبب الحقيقي في غزو فرنسا للجزائر واحتلالها، وإنما هناك أسباب حقيقية مباشرة، التي منها سياسية وعسكرية واقتصادية وداخلية ودينية، نكتفي بتلخيصها بما يلي:

أسباب سياسية – عسكرية: لقد بدأت فرنسا التفكير باحتلال الجزائر منذ عام 1795 م حين وضعت في خطتها محاولة الحلول محل إسبانيا، التي

(1)- لمزيد من التفاصيل عن مرحلة ما قبل الغزو والاحتلال الفرنسي للجزائر، أنظر: د. جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790- 1830م) منشورات متحف المجاهد، الجزائر 1999، ص 368 — 380.

(2)- في يوم 29 أفريل 1827م بمناسبة عيد الفطر، أقام الداي حسين باشا، حفل استقبال على شرف القناصل الأجانب المعتمدين في الجزائر، ومنهم القنصل الفرنسي (دوفال) حيث استفسره الداي حسين باشا، عن سبب تجاهل الملك الفرنسي شارل العاشر الرسالة المطالبة بتسديد الديون (ثمن القمح الذي اشترته من الجزائر) فكان رد القنصل الفرنسي مهينا للداي أمام القناصل، فاغتاظ لذلك وضربه بمروحة كانت في يده، وأمره بالخروج من المجلس.

انهزمت أمام قدوم الجيش العثماني التركي، واضطرت للانسحاب من وهران والمرسى الكبير في عام 1792م وكان من شأن هذا الاحتلال لو حدث، تكون فرنسا، قد أخذت موطئ قدم في الشمال الإفريقي للسيطرة على المنطقة بكاملها، وإبطال مفعول التفوق البحري البريطاني في البحر الأبيض المتوسط.

في عام 1808م. كلّف (نابوليون – Napoleon) أحد ضباط مخابراته واسمه (بوتان– Boutain) بالذهاب إلى الجزائر سرا، وتقديم تقرير عن أفضل الطرق المتبعة لاحتلال الجزائر، وكان هذا الضابط في الجزائر فعلا، ورفع تقريره، الذي ضمّنه خطة مفصلة لكيفية الغزو والاحتلال، واتبعت فرنسا تطبيق ما ورد في خطة التقرير، لما غزت الجزائر في 5 جويلية 1830م.

أسباب اقتصادية: ازدهرت البرجوازية في فرنسا -بعد الثورة الصناعية- في بداية القرن التاسع عشر، حيث عمت الآلة وامتلأت المصانع الفرنسية بفائض الإنتاج، وهذا ما استدعى التفكير بإنشاء مستعمرات جديدة، تحصل البورجوازية على الموارد الأولية منها بأرخص الأسعار، وتبيع منتجاتها بالمقابل بأغلى الأسعار، وكذا اليد العاملة الرخيصة من مستعمراتها.

أسباب داخلية: لقد كانت حكومة الملك (شارل العاشر– Charle X) في فرنسا تفكر في إيجاد وسيلة ترضي وتشغل بها القسم الأكبر من الجيش الفرنسي، الذي ورثته من عهد (نابوليون) وإلهائه بغزو واحتلال الجزائر، وبهذا تثبت الحكومة الفرنسية في البرلمان هذا الهدف، وقد اعترف الملك

(شارل العاشر) بهذا صراحة حين قال: "إنه شيء جميل، أن نتقدم إلى البرلمان، ومفاتيح الجزائر في أيدينا" وبهذا تريد فرنسا إضفاء مسحة من الأبهة والعظمة على المملكة[1] التي أوشكت على الانهيار، لإسكات المعارضة والشعب الثائرين عليها.

أسباب دينية: بعد سقوط غرناطة بيد الجيوش الإسبانية سنة 1492م لم يكن من المفاجئ اكتشاف وجود عوامل دينية، دفعت فرنسا كدولة أوروبية مسيحية لاحتلال الجزائر، الدولة العربية المسلمة، والدليل الواضح على ذلك، خطاب ملك فرنسا (شارل العاشر) أمام البرلمان الفرنسي يوم 2 مارس 1830م قبل تسيير الحملة بمدة شهرين تقريبا بقوله: "إن التعويض الحاسم، الذي أريد الحصول عليه، وأنا أثأر لشرف فرنسا، سيتحول لصالح المسيحية" فكل هذه الأسباب وغيرها، ساهمت في جعل فرنسا تقرر احتلال الجزائر، قبل حادث المروحة بزمن طويل.

وتمّ احتلال مدينة الجزائر، بعد مقاومة دامت حوالي أسبوع، انتهت باتفاقية تسليم العاصمة، التي وقعها الداي حسين باشا مع الجنرال (دي بورمون– de Bormon) قائد حملة الغزو، والذي تعهد فيها بحماية الممتلكات الخاصة بالداي وحاشيته والأهالي، وعدم التعرض

(1)- حصلت تبدلات سياسية في نظام الحكم في فرنسا نفسها بين (1830م – 1871م) حيث نجد أنها كانت ذات نظامي ملكي بين (1830م – 1848م) ثم تغيّر هذا النظام إلى نظام جمهوري بين (1848م – 1851م) ثم أصبحت الدولة امبراطورية (emper) بين (1852م – 1870م) ثم عادت جمهورية اعتبارا من عام 1871م وقد انعكست جميع هذه التغيرات على نظام الحكم في الجزائر.

لحريات السكان وعقائدهم ومؤسساتهم الدينية، لكن لم يحدث هذا، إذ تم نهب القصبة بأبشع صورة، وكذا الخزينة الجزائرية العامة، التي كانت تحتوي على ثلاث غرف مليئة بالذهب والفضة والنحاس، وهناك إحصاء ثابت، بأن أكثر من مائة مليون من الفرنكات، دخلت من أموال خزينة الجزائر إلى فرنسا[1].

كانت الجزائر غداة يوم 5 جويلية عام 1830م دولة ذات سيادة، تمارس نشاطاتها وطنيا ودوليا، وتربطها العديد من المعاهدات والاتفاقيات مع الدول الأوروبية، والولايات المتحدة الأمريكية، ففي الميدان العسكري مثلا، كانت الدولة الجزائرية، تمتلك جيشا نظاميا يضم خمسة عشر ألف فردا، وأسطول بحري قوامه نحوستين سفينة حربية، وكانت الدولة الجزائرية، تصدر القمح والشعير والماشية والزرابي، ونظرا للازدهار الذي عرفته – أنذاك- أصبحت من الدول المدانة لفرنسا.

(1)- بينما كانت تجري هذه الأحداث بالجزائر، حدثت في فرنسا ثورة 14 جويلية 1830م التي أطاحت بالمملكة الفرنسية، وأسقطت حكومة شارل العاشر، وكان لهذه الأحداث صداها لدى ضباط الحملة الفرنسية بالجزائر، فقامت حكومة لويس فليب بسحب (دي بورمون) وعينت مكانه الجنرال (كلوزيل) فقدم إلى الجزائر في شهر سبتمبر 1830م.

مرحلة الغزو الفرنسي للأوراس
الغزو الفرنسي للأوراس

رغم أنّ قوات الغزو الفرنسي، تمكنت بعد عام 1830م من احتلال الجزائر العاصمة، وعدد من المدن والمناطق الساحلية ما بين مدينتي الجزائر ووهران، لكن الجيش الفرنسي، كان يواجه صعوبات جمة من السكان في مختلف المناطق، التي كانت خارجة عن نفوذه.

مقاومة الحاج أحمد باي بجبال الأوراس: كان لابد من احتلال مدينة قسنطينة التي سقطت في 13 أكتوبر 1837م أمام عدم تكافؤ الطرفين من حيث الأسلحة، فكان الغزاة معززين بأحدث الأسلحة والمدفعية، بينما قوات الحاج أحمد باي[1] لا تمتلك إلا البنادق والسيوف والمتفجرات.

توجه الحاج أحمد باي إلى الجنوب الشرقي من قسنطينة، ومن ضمنه الأوراس قاصدا قبيلة أولاد سلطان[2] التي خاض رجالها غمار معارك كبرى معه، وبعد سنة ونصف من الجهاد كرا وفرا انتصر

(1)- الحاج أحمد باي: ينتمي إلى أسرة (كرغولية) أبوه تركي وأمه جزائرية من عائلة (بن قانة) بمنطقة (بسكرة) وكان الباي الثالث والعشرين بقسنطينة، امتدت ولايته من (1826م - 1837م).

(2)- أنظر: د.يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، الجزء الأول، كفاح الحاج أحمد باي في بايليك قسنطينة (1830م – 1848م) منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996م، ص 61 –71، أيضا: لحسن بن علجية، العلامة عبد السلام بن عبد الرحمن السلطاني، حياته وآثاره، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2013 ، ص 15–23.

المجاهدون في كثير من المعارك، وهزموا في أخرى، غادر أحمد باي قرية (البير)[1] عبر جبل متليلي، وأمّن له الطريق فرسان أولاد سلطان.

أقام الحاج أحمد باي لدى عائلة بن عباس، صاحبة الزاوية القادرية بـ (منعة)[2] في حين كان خليفة الأمير عبد القادر بالأوراس، محمد الصغير بن أحمد بلحاج، نازلا لدى عائلة أولاد حبارة بـ (نارة)[3] إنه من أحكام الضرورة بالفعل، أن يتم هذا التنسيق العفوي أوالإرادي بين رجلين متنافسين على السلطة الشرعية والقيادية[4]، ومن أحكامها أيضا، أن يلتجئ كل منهما إلى الأوراس.

شعر قادة الغزو بالقلق إزاء هذا النطاق المنظم، فقرروا دخول الأوراس، وتتبع هذين المقاومين جيش كبير، قاده جنرالات وعقداء، وعلى رأسهم الجنرال (بودو–Bedeau) والجنرال (لوفاسور–Levasser) ومن ضمنهم العقيد (ماكماهون–Mac-Mahon) توجهت قوات الحملة من قسنطينة إلى الجنوب الشرقي بقيادة (الدوق دومال -le Duc)

---

(1)- قرية (البير): تقع ببلدية أولاد عوف، تبعد عن مدينة عين التوتة بحوالي عشرين كيلومتر وعن مدينة باتنة بحوالي خمسين كيلومتر شرقا

(2)- قرية منعة، تقع على بعد ثمانين كيلومتر إلى الجنوب الشرقي من مدينة باتنة.

(3)- قرية نارة، تقع على بعد خمسة كيلومتر من الطريق العام باتنة– منعة، ويحتضنها الجبل الأزرق، وتتكون من ثلاث قرى: أولاد سيدي عبد الله، ونارة، وقرية زالابوش، وقفت على بيت قيل لي، أنه استشهد فيه أربعون مجاهدا، بعد استبسالهم في مقاومة الغزاة الفرنسيين المهاجمين.

(4)- كان خليفة الأمير عبد القادر، يمثل المقاومة الوطنية في حين كان الحاج أحمد باي، يمثل السلطة العثمانية للاستمرار في الحكم.

Daumale[1] وفي طريقها واجهت مقاومة عنيفة من سكان المناطق، التي حاولت اجتيازها، وكان وصولها إلى منطقة باتنة في 4 فيفري 1844م مكونة بها معسكرا لقواتها كمرحلة أولى[2] وقد أشرف على تنظيمه العقيد (بوتافوكو– Buttafoco) وواصلت الحملة تقدمها جنوبا عبر ممر القنطرة إلى مدينة بسكرة، فتم احتلالها في 4 مارس من العام نفسه.

معركة بوابة الأوراس الأولى: بعد تمركز القوات الفرنسية ببسكرة، بلغها أن مقاتلي الأوراس، يعدون العدة لمهاجمتها، ففي يوم 15 مارس 1844م خرجت قوات من الحملة بقيادة (الدوق دومال) من بسكرة متجهة إلى بوابة الأوراس الجنوبية قرية مشونش[3] التي تجمع فيها المجاهدون متخذين من زاوية سيدي حمودة[4] مقرا بقيادة محمد الصغير بن أحمد بلحاج خليفة الأمير عبد القادر بالأوراس بمشاركة سيدي ابراهيم بن سيدي الصادق بلحاج، مقدم زاوية (لقصر) أولاد أيوب الرحمانية.[5]

---

(1)- الدوق دومال: (le Duc Daumale): ابن الملك لويس فيليب لويس (1830 – 1848م)، عين قائدا لمنطقة قسنطينة، قاد حملة مقاومة الحاج أحمد باي وإحتلال منطقة باتنة ومدينة بسكرة.

(2)- تموقعت القوات الفرنسية أول الأمر في مكان يعرف بـ (المعسكر– le camp) قرب المسجد العتيق، وهو النواة الأولى لتكوين مدينة باتنة.

(3)- قرية مشونش: تبعد عن مدينة بسكرة بحوالي ثلاثين كيلومتر شرقا.

(4)- زاوية سيدي حمودة (الرحمانية): توجد بمشونش حي الرمل، بها مسكن أحمد أمقران جد أحمد بن عبد الرزاق حمودة، العقيد (سي الحواس) حول إلى متحف للمجاهد.

(5)- الطريقة الرحمانية: طريقة دينية بالجزائر، تنتسب إلى محمد بن عبد الرحمن الجرجري، ولد في القرن الثامن عشر الميلادي بجرجرة من قبيلة آيت اسماعيل، وتوفي ما بين سنتي (1793- 1794م) وأعطي لهذه الطريقة اسم الرحمانية، توسعت في الجنوب الشرقي الجزائري، وبعد وفاة المؤسس خلفه الشيخ باشتارزي بقسنطينة، =

كانت المواجهة شديدة وضارية، لكونها أول مواجهة مسلحة مباشرة تخوضها القوات الغازية في الأوراس، وقد صمد المجاهدون أمام جحافل المهاجمين، واستمر القتال نصف يوم كان مشهودا، وأصيب أثناء الاحتدام النقيب (إسبيناس- Espinasse (بإصابات بليغة، تقهقرت بعدها قوات الغزوأمام شدة المقاومة، وتراجعت إلى بسكرة، بعد تكبيدها خسائر معتبرة.

وهنا أرى، أن أثبت ما ورد في تقرير أحد الجنرالات بخصوص مقاومة سكان مشونش: (إنهم مرتبطون بأرضهم ومساكنهم وفلاحتهم ونخيلهم، ولا يستطيعون التنقل والترحال كقبائل الرحل... إن المعركة الأولى التي خضناها مع المقاتلين بمشونش، وهي إحدى قرى الأوراس، كان رجالها عنيدين يدافعون درجة بدرجة فوق صخورهم، ورجلا برجل على سطوح منازلهم الملتصقة، تخالها وكأنها شرفات بعضها فوق بعض)[1].

= وأخذها عنه الشيخ بن عزوز بـطولقة، وانتشرت الطريقة وكثر مريدوها، فكان في الأوراس الشيخ عبد الحفيظ الخنقي زعيم ثورة 1849م والشيخ الصادق بلحاج (زعيم ثورة 1859م) والشيخ علي دردور بمدرونة (وادي عبدي) والشيخ محمد بن عزة بـالحجاج (الوادي الأبيض) والشيخ علي بن عبد الصمد بزاوية (السارسة)، بلدية عيون العصافير شرق مدينة باتنة، والشيخ أحمد بن بوزيد بزاوية (مول القرقور) غير بعيد عن طريق سريانة – مروانة، وزاوية سيدي فتح الله الرحمانية بـشمال كيمل. وقد عمل الشيخ بن عزوز على نشر الطريقة الرحمانية بجنوب تونس، بمنطقتي توزر ونفطة، أنظر: د.إسماعيل العربي، معجم الفرق الإسلامية والمذاهب الدينية، منشورات دار الآفاق الجديد، المغرب،الطبعة الأولى، ص 193-223، أيضا: د. عبد الحليم بوزيد، الشيخ الميلود بوزيد، سيرة وحياة، مطبوعات الكتاب والحكمة، باتنة الجزائر، ط1، 2008، ص 58-62.

(1)- Larmée d’afrique,d. r. f. guesoy, p 213-214.

بعد هزيمة الغزاة بمشونش، عاد (الدوق دومال) إلى بسكرة ليلتحق بمعكسر باتنة، حيث وقعت في شهر مارس عام 1844م عدة هجومات على مراكز الفرنسيين، مما أدى إلى استنفار القوات القارة بالمنطقة، التي توزعت على جهات متعددة، وكانت معظمها تخوض معارك في جبال أولاد سلطان، حيث يتواجد أحمد باي، مما جعله يسرع في العودة لإنقاذ معسكره بباتنة، وقد شارك في هذه المعارك أربعة آلاف مقاتل من سكان المنطقة سهليين وجبليين، خاصة قبائل الحراكتة، وأولاد سلطان، هذا وبعد أن فشلت محاولة اختراق الأوراس من الجنوب، أعيد النظر في إمكانية تعديل خطط الهجوم لاقتحام الأوراس.

اقتحام الأوراس من الشمال: في يوم 14 فيفري 1844م قدم الجنرال (بودو) تقريرا إلى الوالي العام عن الحالة الأمنية بالأوراس، ورد فيه مايلي: (إن سكان هذه الجبال والوديان المعارضين للوجود الفرنسي، هم سكان وادي عبدي والوادي الأبيض وجبل أحمر خدو، وعليه سأخرج إليهم بقوة من مختلف الأسلحة، وأتمركز بـ (لمدينة)[1] قريبا من جبل شليا، حتى أستطيع أن أتوجه إليهم، حاملا معي مؤونة شهر تقريبا، وسأحارب بوحدات خفيفة وسريعة بسب صعوبة الممرات، وعندما أباشر العمل، ربما أغيّر في خطتي العسكرية، ووضعية الوحدات)[2] بلغت الحملة قرية

(1)- قرية لمدينة : تقع بين جبل شليا وإيشمول، تبعد عن الطريق العام باتنة – آريس بحوالي إثني عشر كيلو متر غربا.

(2)- Monographie de lartigue, p12.

(لمدينة – إيشمول) وتمركزت في سهل (لعناصر) حيث أقامت معسكرا لها، ونظمت وحداتها الهجومية.

أثناءها، بلغ القوات المتجمعة بمعسكر (لعناصر)[1] أن أعراش وادي عبدي، قرروا العصيان واتخذوا من قرية (حيدوس)[2] مقرا لقيادتهم، وهنا انطلق الجنرال (بودو) من معسكر (لعناصر) متجها صوب وادي عبدي ومعه العقيد (هيربيون –Herbillion) تقدمت الحملة، حتى وصلت إلى رأس الذراع، المطل على قرية (بعلي) وهنا تقرر تقسيم الحملة إلى قسمين، قسم يقوده الجنرال (بودو) يسلك محور: المحمل–ثلاث– واستمرت هذه القوات في تقدم بطيء إلى أن وصلت مقابل قرية (حيدوس) في حين توجه القسم الثاني، بقيادة العقيد (هيربيون) وكان مسلكه محور: رأس الذراع– إشموفقوس، وتقدمت قواته موازية لقوات الجنرال (بودو) التي أطبقت على قرية حيدوس من كل جانب، وحاصرتها.

قبيل بدء الهجوم، بدأت المدفعية الثقيلة قصفها المتواصل، وكان الالتحام العاصف مع المجاهدين، واستمر النزال نصف يوم كان مشهودا، واشتدت المواجهة، وبعد صولات شديدة، انسحب المجاهدون إلى القرى

(1)- موقع العناصر: مكان فلاحي، يقع على ربوة تشرف على سهل لمدينة، ويحدها شرقا جبل شليا وغربا جبل إيشمول.

(2)- قرية حيدوس: تقع بوادي عبدي، تبعد عن ثنية العابد بحوالي كيلومترين غربا، كانت مركزا قياديا للمجاهدين ومجمعا للعلماء.

المجاورة، وهنا، أقدم الغزاة على حرق الدور، والتنكيل بالسكان، فحاصروا ثنية العابد وفج القاضي، وأشعلوا النيران في المنازل والبساتين، وفرضوا على المواطنين دفع غرامة فورية تقدر بخمسة وعشرين ألف فرنك، ودفع خمسة عشر ألف فرنك كضريبة متأخرة عن الدفع، وحددت المدة بيومين، وإلا ستقطع الأشجار المثمرة ببساتينهم.

واصلت الحملة تقدمها إلى منعة، حيث يتواجد أحمد باي، وبعد اقتحام القرية، طلب سكانها الأمان، وانعطفت الحملة في سيرها إلى (نارة) حيث يتواجد خليفة الأمير عبد القادر بالأوراس، وكانت المواجهة قوية مع المجاهدين، بعدها طلب أعيان (نارة)[1] الأمان، فقام الجنرال (بودو) بتعيين المشايخ على رأس أعراش وادي عبدي، وفرض على السكان غرامة مالية تدفع فورا تقدر بمائة وعشرين ألف فرنك.

لكن الجنرال (بودو) شعر بنوع من الغبن والخيبة، لأنه لم يعثر على أي أثر لأحمد باي، ولا لخليفة الأمير عبد القادر، وكان يدرك تماما أنهما كانا بالمنطقة عند اجتياحها، وهذا يعني أن هناك جولات منتظرة، وعليه توقعها في كل حين، وتأكد أن ليس له عيون، ولا أعوان يعتمد عليهم، وكان الحاج أحمد باي، لما علم بقدوم قوات الحملة، غادر منعة بعائلته قاصدا جبل أحمر خدو إلى قبيلة أولاد عبد الرحمن كباش بسفح الأوراس الجنوبي.

(1)- شاءت الأقدار، أن تكون قرية نارة موئلا للمجاهدين، بعد مائة وخمس سنوات، ومثوى لشهداء الثورة التحريرية (1954-1962م) يرقد بثراها القائد الشهيد مصطفى بن بولعيد، وجمع من الشهداء الأبرار.

دفع الجنرال (بودو) الكثير من القتلى لإخضاع هذه الجهة، وبعدها، وصلت الحملة إلى مشونش، بعد اجتياح الأوراس من الشمال، واستمرت قوات الحملة بالهجوم على معظم مناطق الأوراس الجنوبية، إلى أن بلغت خنقة سيدي ناجي، حيث توجد زاوية سيدي عبد الحفيظ الرحمانية[1].

عاد الجنرال (بودو) إلى معسكر (لعناصر) تاركا العقيد (هيربيون) ومعه ألفي عسكري، أسندت إليه مهمة التهدئة، وإعانة المشايخ والأعيان المعينين على الأعراش، ومتابعة أخبار وتحركات الحاج أحمد باي وخليفة الأمير عبد القادر، وسبر أفكار السكان على مدى طاعتهم لأعوانها، وماله علاقة بتمكين الوجود الفرنسي بالأوراس.[2]

وأثناء إقامة قائد الحملة الجنرال (كانروبرت) بمنعة، بلغه خبر محاصرة الحاج أحمد باي وقد يستسلم طوعا أوكرها، وهنا رأى أن يسرع ليكون له شرف السبق في إلقاء القبض عليه، لذا ترك جزءا من قواته بمنعة، وتوجه إلى جبل أحمر خدوللالتحاق بالحاج أحمد باي، المحاصر لدى أولاد عبد الرحمن كباش، وقد رأت هذه القبيلة، أن الدائرة، دارت على الحاج أحمد باي، وعزّ عليهم، أن يسلم نفسه في منطقتهم، وكانوا

(1)- زاوية سيدي عبد الحفيظ الرحمانية، تقع بخنقة سيدي ناجي، القريبة من زريبة الوادي طريق بسكرة.

(2)- في عام 1845م صدر مرسوم ينص على إلحاق الجزائر بفرنسا، ويقسمها إلى ثلاث مناطق: الأولى (مدنية) وتضم المدن الساحلية، والثانية (مزدوجة) أي الحكم العسكري للجزائريين، والمدني للأوربيين، والثالثة (عسكرية) وتخضع للحكم العسكري المباشر، نظرا لانعدام العنصر الأوربي فيها، وتشمل الأوراس والصحراء.

فريقين: الفريق الأول: هبّ مدافعا عنه، طالبا منه الاستمرار في القتال، يناصرونه ويقاتلون بجانبه إلى آخر رجل منهم، والفريق الثاني: رأى أنه لا مجال للقتال، لأن الحاج أحمد باي والجميع محاصر ومطوق من كل جهة بجيش عرمرم وعملاء مأجورين.

وصل الجنرال (كانروبرت) للمنطقة، لكن أحداث الأسر كانت أسرع، إذ تم ذلك للرائد (سان جيرمان) المسؤول العسكري ببسكرة في يوم 5 جوان 1848م وكان الحاج أحمد باي، قد أُسر مع أربعة عشر مجاهدا في جبل (تقطيوت) في مكان يسمى (تيميسة) بسيدي المصمودي، ولما علم الجنرال (كانروبرت) بـأسر الحاج أحمد باي، عرّج إلى بسكرة، حيث سلّم له الحاج أحمد باي وأخذه إلى باتنة، ثم وجّهه إلى قسنطينة، ومنها إلى الجزائر[1]

كانت محاصرة الحاج أحمد باي، وإلقاء القبض عليه، نكبة كبيرة أصابت المجاهدين، إلا أنه لم تمض بضعة أشهر، حتى كان الاستعداد للمقاومة، إذ قام خليفة الأمير عبد القادر، محمد الصغير بن أحمد بلحاج بحملات في الجنوب الشرقي من الأوراس، محرضا السكان على الجهاد، متخذا من زاوية سيدي عبد الحفيظ مقرا لقيادته.

---

(1)- الحاج أحمد باي: دوّخ قوات الغزو والإحتلال الفرنسي، وسدد لها ضربات موجعة في جبال الأوراس والزيبان، توفي في شهر أوت عام 1852م وضريحه في مقبرة سيدي بن عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر، كانت نهايته كنهاية الأمير عبد القادر، الذي أسر عام 1847م وسجن في فرنسا، وهو في سجن (lamboise) دخل عليه جنرالات فرنسا، والنياشين ترصع صدورهم والأوسمة على أكتافهم، وهم ينظرون إليه نظرة المنتصرين، تكلم معهم، فخرجوا مطأطئي الرؤوس، قال لهم: لو لم أكن أنا، لما كنتم أنتم؟!

ثورة سيدي عبد الحفيظ (**سبتمبر 1849م**): خرج سيدي عبد الحفيظ[1] بكتائب المجاهدين من خنقة سيدي ناجي قاصدا مدينة بسكرة، وتمركزت قواته بالقرب من قرية سريانة، متخذة موقعها على الحافة الشرقية لوادي (براز) ولما تأكدت القيادة الفرنسية من زحف المجاهدين، زجت بقواتها للتصدي لها بقيادة العقيد (سان جيرمان) -الذي كان يشعر بعنجهية وغرور من لا يغلب-[2] وأصدر تعليماته إلى جميع سكان المنطقة، بأنه سينزل بهم العقاب الرادع، إن هم ساندوا المجاهدين.

وصل العقيد بقواته إلى قرية (تهوده)[3] واتخذها قاعدة استطلاع، واكتشف أن هناك تفريطٌ في عدم أخذ قرية سريانة، وثغرة بين الجبل والمجاهدين، حيث كان من الممكن، وضع بعض الوحدات بها، لتقطع الطريق بين الجبل والمجاهدين، وأعطى إشارة الهجوم للمشاة والخيالة باقتحام الوادي، واجتيازه إلى الضفة الشرقية، وحتى يشغل

(1)- الشيخ عبد الحفيظ بن محمد الخنقي الجزائري: فاضل من كبار شيوخ الطريقة الرحمانية، له عدة مؤلفات نذكر منها "التعريف بالإنسان الكامل" و"الجواهر المكنونة والعلوم المصونة" و"حزب الفلاح ومصباح الأرواح" و"الحكم الحفيظية" و"غاية البداية في حكم النهاية" شرحه محمد المكي بن محمد الخنقي طبع بتونس عام 1314م. (توفي عام 1266 هـ / 1850 م) المرجع: معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، تأليف عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط 2، 1983م، ص102.

(2)- إشارة لكونه تولى أمر، أسر الحاج أحمد باي.

(3)- قرية تهوده: كانت عامرة يوما، وأصبحت خرابا وأطلالا، استشهد بها الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري عام (64 هـ / 683 م) في بداية الفتح الاسلامي. البقعة لا تبعد كثيرا عن مدينة سيدي عقبة، التي تبعد عن مدينة بسكرة بحوالي عشرين كيلومتر شرقا، وبها يوجد ضريح الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري، في مسجد يعتبر من أقدم المساجد في افريقيا.

المجاهدين في الميدان، وينفذ خطته، التي تقضي بالالتفاف حول قوات سيدي عبد الحفيظ ومحاصرتها، حتى لا تستطيع الانسحاب صوب الجبل.

التقى الفريقان، وبدأت القوات المهاجمة بالاندفاع في موجات متتالية، همّها الوحيد الوصول لمواقع المجاهدين، وما هي إلا جولات، حتى سقطت مقدمة المشاة والخيالة، وانكشف قائد الحملة (سان جيرمان)[1] للمجاهدين، فأصابوه إصابة قاتلة، خرّ على إثرها صريعا، كما أصيب عدد من ضباطه، مما أدى إلى تراجع الحملة منهزمة إلى بسكرة.

ثورة واحة الزعاطشة 1849 م: في مطلع شتاء 1849 م قاد المقاومة في واحة الزعاطشة بالزاب الغربي، الشيخ عبد الرحمن بوزيان، ابن عم حسان بن عزوز، خليفة الأمير عبد القادر في الجنوب الشرقي الجزائري، داعيا إلى رفض دفع ضريبة النخيل، واستنفر السكان لدعوة الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين.

توجه العقيد (كانروبيرت) بجيشه لمساندة الجنرال (هيربيون) الذي حاصر الواحة بجيشه، وعمد إلى قطع أكثر من عشرة آلاف نخلة، وصب قذائف مدافعه على القرية لمدة ثلاثة وعشرين يوما، وقد

(1)- أرى أن أشير، أن الثكنة العسكرية التي هاجمها المجاهدون في ليلة أول نوفمبر 1954م ببسكرة، كانت تحمل اسم (سان جيرمان) وهي الآن ثكنة القوات المحمولة جوا.

صمد المجاهدون والسكان، أمام أعتى قوة ضارية في المنطقة، مزودة بأحدث الأسلحة الفتاكة والآلات المتخصصة في الهدم والردم والاقتحام، وكانت المقاومة باسلة وبطولية، بعدها سقطت واحة الزعاطشة (شهيدة) في يوم 26 نوفمبر 1849م وانسحب المجاهدون المشاركون في ثورة الزعاطشة، إذ استطاعوا اختراق الحصار، والسير في مناطق مكشوفة جرداء ولمسافات طويلة، والوصول إلى تخوم جبال الأوراس الجنوبية، والتوجه إلى قرية (نارة) حيث كوّنوا مركزا قياديا لهم بها، وكان قد أُلقي القبض على الشيخ بوزيان وابنه وقائده العسكري الحاج موسى الدرقاوي، وقطعت رؤوسهم، ومُثِّل بها شر تمثيل، وحملت إلى مدينة بسكرة ترهيبا للسكان، وهي الآن في المتحف الانثروبولوجي بباريس (Musée anthropologique à Paris).

معركة نارة (جانفي 1850 م): تنفيذا لرغبة الأخذ بالثأر والانتقام، خرج الجنرال (كانروبيرت) من باتنة بجيش كبير في أواخر ديسمبر 1849 م ووجهته وادي عبدي، وهدفه (نارة) وكانت الثلوج تتساقط بكثافة، وأضحى الجوباردا، وصار تقدم الحملة بطيئا، إذ أن سيرها لا يتجاوز ستة كيلومترات في اليوم إلى أن بلغت قوات الحملة مشارف منعة، وكانت العساكر تتسلق الجبال الوعرة، ذات المدرجات الحجرية الضخمة والطرق الملتوية، مما صعّب مهمة الهجوم والتقدم صوب قرية نارة المشيدة فوق الصخور الملساء، التي يستحيل التسلق عليها، وكانت هذه التحركات تتم على مرأى من المجاهدين.

بلغت الحملة نقطة التقاء الممرات إلى (نارة) وهنا انبثق عليها ثلاثة أرتال، كل رتل من جهة، فكان الرتل الأول بقيادة العقيد (كاربيسا- Carpisa) الذي صدرت منه الأوامر بالزحف من الجهة الغربية عبر المضيق الصعب، والرتل الثاني بقيادة العقيد (أبراس دوفير) الذي توجه عن طريق (تيقشوين) وكان عليه متابعة حافة الجبل الشرقي، أما الرتل الثالث، فيقوده العقيد (لافراند- La Varande) يسلك السهل على الطريق الشرقي.

كانت عملية الهجوم متوازية مع الأرتال الثلاثة، التي كان هدفها المجاهدين المرابطين بالروابي، إلا أن رماة الرتل الثالث، أثّروا على المجاهدين، وذلك بالقصف الكثيف، مما أدى إلى تراجع المجاهدين داخل القرية، ليشكلوا خطا دفاعيا مع قناصة الروابي، وكان لخيالة العدو، ذلك الدور الشرس، الذي كان تحت تغطية رماة المدفعية، وما كاد اليوم الطويل ينتهي، حتى سكن كل متحرك بمنطقة (نارة) وتابعت الحملة مطاردة المجاهدين، ولاحقتهم إلى قريتي (إيقلفن) و(بريض) واستولت على ما صادفته في طريقها، أما مصير قرية نارة فقد كان نفس مصير قرية الزعاطشة، لأن اليد المدمرة واحدة.

قبل أن نستطرد في متابعة أعمال الغزاة، أرى أن أثبت مقتطفات من رسالة بعثها الجنرال (سانت أرنو- Saint Arnod) إلى أخيه في يوم 27 جوان 1850م والتي يقول فيها، أنه بدأ في التغلغل بإحدى المناطق الجبلية بالأوراس، الصعبة العبور، وأشار واصفا المنطقة لأخيه: (إنها محاطة

بالجبال الصخرية، وأعتقد أنها نهاية العالم) وكان يأمل أن ينحت على الصخور أسماء ضباط وحداته، وأنه أول من اخترق مضيق (تيغانمين) الصعب المرور، إلا أنه بعد أيام، كتب رسالة أخرى لأخيه، وفيها يقول: (كنا نعتقد أخي العزيز، أننا أول من عبر مضيق (تيغانمين)[1] ولكن للأسف، كان اعتقادي خاطئا، لقد وجدت كتابة فوق أحد الجلاميد الصخرية، تنبئ بأن الفيلق الرابع الروماني (فيرطا) قد سبقنا، وسلك هذا المضيق، الذي نعبره حاليا، وإننا نجهل مصير هذا الفيلق) إذن إنه الأوراس، لا يعرف أحد مصير سابقيه، ولا مجال للعودة لمن وطأت أقدامه ترابه.

ثورة سيدي الصادق بلحاج (1859م): وجّه سيدي الصادق بلحاج نداء في مطلع 1858م. إلى سكان الأوراس والزاب الشرقي بالجهاد ضد الغزاة، ابتداء من مطلع عام 1859م وقد لبوا النداء، وشرعوا في إعداد العدة للثورة، نظمت فرنسا قواتها لمواجهة الثورة بقيادة الجنرال (ديسفو- Desveaux) قائد منطقة باتنة العسكري، وانطلقت الحملة من بسكرة، صوب جبل أحمر خدو[2] أثناءها واجهت مقاومة عنيفة من طرف المجاهدين المرابطين في المواقع المتقدمة، ودارت معركة طاحنة، اجتاحت فيها قوات العدوالمنطقة نحو زاوية (لقصر) أولاد أيوب، وقد صمد

(1)- مضيق تيغانمين: يبعد عن مدينة آريس بثمانية عشرة كيلومتر جنوبا، نُفذت به أول عملية في الثورة التحريرية (1954-1962) صبيحة الأول من نوفمبر 1954م.

(2)- لمزيد من التفاصبل أنظر، نوار لمباركية، بندقية من جبل أحمر خدو، ذكريات ومواقف من حياة المجاهد بصوفي علي (المخلص) مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر 2012، ص 23-32.

المجاهدون أمام الكراديس المندفعة في أفواج متتالية، واستطاعوا عرقلة تقدمها مما جعلها هدفا سهلا أمام الضربات السديدة، التي كادت تطيح بالحملة، لولا استعمال المدفعية الميدانية البعيدة المدى، التي ساعدت على تقدم المهاجمين تحت غطائها، وكانت المواجهة في كل خطوة إلى الزاوية التي وصلتها في يوم 13 جوان 1859م.

وقد سجل المجاهدون بطولات في الميدان، لما تراءت لهم مقدمة العدو، وهي تصبّ حمم قنابلها على كل من كان بمحيط الزاوية، وقد وجدوا أنفسهم في موقف صعب بعد سقوط الزاوية، وكان عليهم الانسحاب أمام مرأى عساكر تغطي الأخضر واليابس، وكان الانسحاب منظما، ولم يستطع العدو تحقيق ما يقلل من عزيمة المجاهدين، وقد صمموا على نزاله ومحاربته بكل تحد وإصرار، وفعلا أثناء المتابعة، اصطدمت بعض وحداته بكمائن للمجاهدين، الشيء الذي أحدث ارتباكا في صفوفه، مما جعل تقدمه إلى قرى جبل أحمر خدو بطيئا.

ألقي القبض على سيدي الصادق بلحاج مع ابنيه سيدي الطاهر وسيدي إبراهيم وثمانية وثمانين مجاهدا، نقلوا جميعا إلى خنقة سيدي ناجي ثم إلى بسكرة، وتم توجيههم إلى قسنطينة للمحاكمة في مجلس حربي، وكانت التهمة الموجهة إليهم: (مذنبون لحملهم السلاح ضد فرنسا بالمنطقة العسكرية، وتحريضهم السكان على التسلح بغرض إلحاق النهب والتقتيل بمكان أوبأماكن عديدة) بعد المحاكمة، أصدر المجلس الحربي حكما بالإعدام على سيدي الصادق بلحاج، ثم خُفف الحكم إلى خمسة

عشر عاما سجنا[1] قضاها في سجن الحراش مع ابنيه ومجموعة من المجاهدين المحكوم عليهم، حيث قضى سيدي الصادق بلحاج سنتين في السجن وتوفي به.[2]

ثورة واحة العمري (1876 م): في مطلع 1876م أعلن سكان واحة العمري[3] قرب مدينة الدوسن[4]، الثورة بزعامة الشيخ محمد بن يحي والمرابط عياش، وقد حاول بعض (القياد) السيطرة على الأوضاع التي تنذر بالثورة، إلا أنهم فشلوا في تهدئة السكان الثائرين، وهنا أصدر الحاكم العسكري أمره، وأمهل أعيان عرش (البوازيد) خمسة أيام لتسليم أسلحتهم، وإعلان الخضوع للسلطة، وإلا فإنه سيستعمل القوة الرادعة، وما إن انتهت المهلة، حتى زحفت القوات المهاجمة بقيادة الجنرال (كارتر) على الواحة الصامدة، واستعد مجاهدو الواحة للمنازلة في صفوف منتظمة خارج غابات النخيل، وكانوا حوالي مائة فارس وألفي راجل، وبدأت المواجهة الحتمية، وما هي إلا جولات حتى سقط زعيم الثورة محمد بن يحي شهيدا، وأصيب المرابط بن عياش، وتراجع المجاهدون إلى داخل الواحة محتمين بأسوارها.

---

(1)- نقلت هذه المعلومات من دفتر سجن الحراش، المرجع المعتمد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1831 - 1900) للدكتور عبد الحميد زوزو، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص185 – 187.

(2)- بعد وفاة الشيخ الصادق بلحاج، نقل من قبل مُريديه، الذين كانوا في زيارة له في السجن، حين وافته المنية، وقد اشتروا بغلة شهباء من سوق الحراش، وحملوه إلى مثواه الأخير، ليدفن بمقبرة أجداده بـ (لقصر) أولاد أيوب.

(3)- واحة العمري: تبعد عن مدينة بسكرة بثمانية وأربعين كيلومتر جنوبا.

(4)- مدينة الدوسن: تقع شمال مدينة أولاد جلال بحوالي خمسة وعشرين كيلومتر، وتسمية (الدوسن) يرجح أنها كلمة رومانية، تعني المكان المنخفض، وتعد بلدية الدوسن من أقدم بلديات الوطن، ويعود تاريخها إلى العهد العثماني.

شن الفرسان هجوما مباغتا على مخيمات الجيش الفرنسي بقيادة المرابط بن عياش، واستمر الهجوم أكثر من عشر ساعات، أصيب خلالها ثلاثة ضباط، وكذا (القايد) بن قانة، وعدد من عساكر العدو وعملائه، وهنا ركزت المدفعية الثقيلة قصفها على الواحة، فأحدثت خسائر كبيرة بها، وألقي القبض على المرابط بن عياش ورجال المقاومة، وكان ما نهبه الفرنسيون من الواحة أربعة آلاف واثنين وثلاثين جملا، وأربعة عشر ألف وثلاثمائة وثمانية وثلاثين رأس غنم، والاستيلاء على أسلحة المجاهدين، التي تزيد على خمسة آلاف قطعة سلاح، وفرضت غرامة باهظة تدفع فورا، ونفي زعماء وأعيان الواحة إلى مناطق مجاورة ونائية.

إن الأعمال التي ارتكبها الغزاة، لم تأتِ على عزيمة المجاهدين، بل وجدنا عمليات جريئة تنفذ في كامل تراب الجهة، ففي ضواحي باتنة نفذت عمليات هزت أركان القوات المعتدية، وهجومات أخرى أدت إلى هروب المعمرين إلى زاوية عبد الصمد، وكما قام ثوار جبل بوعريف بالتنسيق مع ثوار بلزمة للتحضير للثورة.

ثورة الأوراس (بن جار الله) (1879م): استمرت مقاومة الاحتلال الفرنسي، الذي كان قادته يعتقدون أن عهد الثورات انتهى وولّى، إلا أن السكان كانوا في مرحلة أخذ العدة لثورة عارمة، ففي 30 ماي 1879م قامت ثورة قادها الشيخ محمد أمزيان[1] ومركزها قرية (تكوت) جنوب شرقي

(1)- الشيخ محمد أمزيان، هومحمد بن محمد الصالح بن عبد الرحمن، من قرية جار الله من عرش بني بوسليمان، وهو من إخوان زاوية تيبرماسين الرحمانية، التي أسسها سيدي الصادق بلحاج صاحب ثورة 1859م، =

الأوراس، ونظرا لتطور الثورة واشتدادها، اهتمت القيادة الفرنسية بأمرها، فكان على حاكم مقاطعة قسنطينة، أن كلّف الجنرال (فورجيمول- Forgemel de Bostquenard (بتولي أمر ثلاث فرق عسكرية، والتوجه لمحاصرة الثورة والتضييق عليها، فكانت تتكون من الآتي:

رتل باتنة: مكون من خمسة فيالق، وفرقة للمشاة وفرقتين للخيالة، وضعت تحت قيادة الجنرال (لوجورو- Logorot).

رتل بسكرة: يتكون من ثلاثة فيالق، فرقة للمشاة وسريتين من (السبايس) وفرقتين من فرق صيادي الجبال، وأسندت هذه القوات إلى العقيد (كاجار – Cajard).

رتل خنشلة: يتكون من فيلق للمشاة وسرية واحدة من (السبايس) وفرقة من فرق صيادي الجبال، ووضعت تحت قيادة العقيد (قوم – Gaume).

بعد تكوين الأرتال الثلاثة، تحدد لكل رتل فرقة من الهندسة العسكرية، مجهزة بآلات تفجير الصخور، وشق الطرقات، وهدم الدور، كما خصص لكل بندقية خمسين طلقة، وجعل احتياط الذخيرة والمؤونة، تحت تصرف القواد الثلاثة، وأعطيت الأوامر إلى القيادات العسكرية في كل من عنابة وسكيكدة وقسنطينة والجزائر العاصمة، ليعدّوا قوات أخرى، ويعجلوا بإرسالها إلى المنطقة، قبل أن تعم الثورة وتشتد أكثر فأكثر.

= اشتغل بتدريس القرآن والإمامة في مسجد سيدي عيسى بقرية جار الله، التي تبعد حوالي عشرين كيلومتر عن قرية تكوت شرقا.

أعطى الجنرال (فورجيمول) إشارة الزحف إلى منطقة (تكوت) فانطلقت حملة (لوجورو) متجهة إلى مضيق فم الطوب، وأثناء تقدمها تعرضت لهجوم مباغت في مكان يدعى (الربع) فردت بتدمير المنازل وتشريد السكان، وفي نفس الوقت، كانت حملة العقيد (كاجار) تعبر مشونش إلى قرية (سانف) ومنها إلى الوادي الأبيض، حيث عسكرت في قرية (تيزقاغين)[1] في هذه الأثناء، اتجه زعيم الثورة محمد أمزيان وقيادته إلى عمق غابة كيمل، متخذا من زاوية سيدي فتح الله بوادي الشرفاء مركزا لقيادته، وهناك تمت دراسة الوضع على ضوء توجه القوات المهاجمة إلى المنطقة...

كانت الثورة شاملة في معظم مناطق الأوراس، إلا أنها لم تلبث أن سكنت، نتيجة الضربات القاسية من كل صوب، وكعادة السلطة الفرنسية، فإنها طبقت عقوبات رادعة بحق السكان (خاصة اللحالحة) فصادرت الأملاك بصورة جماعية، وفرضت غرامات حربية باهضة، زادت أحيانا عشرين مرة على الضريبة العادية، ونكب السكان في قطعان مواشيهم وأغنامهم، واحتجزت رهائن منهم، حتى تستوفى ضرائب العقوبات التي تعرضت لها الفرق والبطون المساهمة في الثورة، ونذكر منها: أولاد قاسم، أهل جار الله، تكوت، أولاد سليمان بن حمزة، الشرفاء (تاوزيانت) اللحالحة، بني ملكم، أولاد سالم بن

(1)- موقع (تيزفاغين) يقع غرب جبل شليا قريبا من (إينوغيسن) زلاطو.

عباس، أولاد سعدية، المرادسة، السراحنة، الشرفاء، وأولاد أحمد بن يحي وأولاد محمد أمقران.[1]

فعلا لقد كانت الثورة تعبيرا عن ضيق السكان بالسيطرة الاستعمارية وتسلط العملاء المأجورين عليهم، حيث وجدوا أنفسهم تلقائيا في جو الثورة تحت لواء الطريقة الرحمانية، التي تجدد نشاطها الكفاحي في شخص مقدمها الشيخ محمد بن عبد الرحمن، بهدف وضع حد للسيطرة مهما كانت النتائج.

وكانت المطاردات المتواصلة في الجبال وفيافي الصحراء، وألقي القبض على الشيخ محمد بن عبد الرحمن أمزيان ورفاقه المجاهدين في تونس بمدينة (نفطة) وسُلِّمُوا إلى السلطة الفرنسية، وقُدِّمُوا للمحاكمة في مجلس حربي بقسنطينة، وكان عددهم خمسة وخمسين مجاهدا، أصدر المجلس حكمه كالتالي: أربعة عشر شخصا حكم عليهم بالإعدام، على رأسهم زعيم الثورة الشيخ محمد أمزيان، سبعة أشخاص بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات، شخصان بالإقامة الجبرية لمدة خمس سنوات.

بعد صدور هذه الأحكام، حاولت السلطة الفرنسية، أن تتظاهر بالرفق والرأفة، فأصدرت عفوا جزئيا على المحكوم عليهم بالإعدام،

(1)- فرضت الضريبة الحربية على أولاد قاسم وأهل جار الله وتكوت، عشرين مرة على الضريبة العادية، وأولاد سليمان بن حمزة، الشرفاء (تاوزيانت – شعبة خالد) اللحالحة عشر مرات، وبني ملكم وأولاد سالم بن عباس سبع مرات وهكذا. لمزيد من التفاصيل، أنظر عبد الحميد زوزو، ثورة الأوراس سنة 1879 م المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م، ص 72 ومايليها.

وعوّضت أحكام الإعدام بالأشغال الشاقة المؤبدة والنفي، حيث تم نفي الشيخ محمد أمزيان إلى جزيرة (كورسيكا- Corsica) وفيها توفي عام 1889م أثناءها، عمدت السلطة الفرنسية، إلى تسليط نوع من القمع وجو من الرعب في أوساط الأهالي، فاعتقلت الكثير من العلماء والمشايخ وقدمتهم للمحاكم، نظرا لما يشكلونه من خطر على سياسة فرنسا العسكرية والإدارية، نذكر من هؤلاء الشيخ الهاشمي دردور، شيخ زاوية قرية (مدرونة) الرحمانية بوادي عبدي، الذي دعا مريديه إلى رفض أوامر أعوان السلطة الفرنسية ومقاطعتهم، يبدوأن السلطة الفرنسية قد أجلت القبض على الشيخ الهاشمي دردور ومن معه، حتى لا يتسبب ذلك في اتساع دائرة الثورة، إلى أن حان شهر أكتوبر 1880م. فألقت القبض عليه وثلة من أتباعه ونقلتهم إلى سجن قسنطينة، وتمت محاكمتهم ونفتهم إلى جزيرة (كورسيكا) حيث قضى فيه الشيخ الهاشمي دردور عشر سنوات وأربعة أشهر، إلى أن أفرج عنه في عام 1890م حيث رجع إلى مسقط رأسه بـ (مدرونة)[1]

ما إن هدأت ثورة 1879م بالأوراس، حتى كانت الثورات متواصلة ضد الوجود الفرنسي في الجزائر، من ثورة الشيخ بوعمامة من أولاد

(1)- واصل الشيخ الهاشمي دردور جهوده ونشاطه في التعليم والإرشاد والتوعية فاعتقله الإستعمار سنة 1895م وسجن بباتنة، وأطلق سراحه بغرامة مالية، رابط الشيخ في زاويته إماما ومدرسا ومرشدا إلى أن وافاه الأجل يوم 14 جانفي عام 1899م ودفن بالزاوية الدردورية بقرية مدرونة، لمزيد من التفاصيل، انظر، لحسن بن علجية، الشيخ عمر دردور، سيرة و مسيرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2014 ص 21 – 25.

سيدي الشيخ (الشراقة)[1] في عام 1881م إلى ثورة عين الترك ومليانة في عام 1901م إلى ثورة عين بسام 1906م وثورة التوارق بأزجر الهقار في 1911م وثورة بني شقران (بين المحمدية ومعسكر) عام 1914م.

(1)- تحصل الكاتب على الجائزة الثالثة في المسابقة الوطنية لثورة أولاد سيدي الشيخ بمحاضرة ألقيت في مدينة لبيض سيدي الشيخ (ولاية البيض) بعنوان: التنظيم العسكري في ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864 – 1881م)، والجائزة هي سفرة إلى تركيا لمدة أسبوع عام 1996م.

ويلات الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)

ويلات الحرب العالمية الأولى

(1914 - 1918م)

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في 28 يوليو-جويلية 1914م حيث اخترق الجيش الألماني بلجيكا في طريقهم إلى فرنسا، وأعلنت بريطانيا الحرب إلى جانب حليفتها في الرابع من شهر أوت، وهكذا في أسبوع واحد، وقفت ثلاثة وعشرون دولة إلى جانب التحالف من بينها: الصين، اليابان، اليونان، روسيا، رومانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ضد الوفاق الثلاثي (ألمانيا، النمسا وتركيا[1])

عندما إندلعت الحرب، وُضعت الجزائر كلها في حالة حصار وإستنفار وطوارئ، لأن الإدارة الإستعمارية، تخوفت أن يستغلها الجزائريون ضدهم، خاصة بعد أن قامت الطرادتان الألمانيتان (قوبن – goben) و(برسلو – preslou) بقصف مدينتي عنابة وسكيكدة، فوجه الحاكم العام (لوتو- lutaud) نداء إلى الجزائريين دعاهم فيه إلى الهدوء والحفاظ على النظام والأمن.

(1)- تحالفت الدولة العثمانية (تركيا) مع ألمانيا والنمسا والمجر في الحرب العالمية الأولى ضد جيوش الحلفاء، وأحرز الجيش العثماني نصرا كبيرا على الجش البريطاني عام 1915م، إلا أن إستمرار الحرب، أدى إلى أنهيارها في عام 1918م، وإنتزعت منها كل أملاكها، وبذلك طويت صفحة الإمبراطورية العثمانية (1453 – 1918م) التي حفلت بأورع الإنتصارات، وأقسى الإنكسارات.

كانت الحرب العالمية الأولى حرجة على فرنسا، إذ أصيبت بانهزامات أمام تقدم الجيش الألماني، في حين واصلت السلطة الاستعمارية سياسة القتل والنفي والتشريد ومصادرة الأراضي وفرض الضرائب الباهظة على السكان.

إن الأنباء الواردة من جبهات القتال تدل على أن فرنسا والحلفاء انهزموا شر هزيمة، وأن السلطة الفرنسية تجزم بأن الانتصار في الحرب مرهون بكثرة الرجال، وبذلك دفعت بأبناء الجزائر في سعير ويلات هذه الحرب وحملتهم في الشاحنات بالجملة بلا أدنى اعتبار، ودفعت بهم إلى جبهات القتال بدون أبسط تدريب، ليكونوا الطعم السهل، والحطام الهش، والوقود الملتهب، في محارق خنادق وخطوط الدفاع عن فرنسا.

وقد شارك في هذه الحرب الضروس حوالي ستون مليون جنديا، ثلثاهم للحلفاء، قُتل منهم حوالي خمسة وعشرون مليوناً، وأن مائة واثنين وسبعين ألف، هم الجزائريون الذين تم تجنيدهم خلال الحرب الكبرى، تلك الحرب التي أكلت ستا وعشرين ألفا، هؤلاء هم الجزائريون، الذين شاركوا في كل المعارك إلى جانب الفرنسيين، وسقطوا فداء لحرية فرنسا ومصالحها.

وقد قاتل الجزائريون على جبهة (فردان – Verdun) وغيرها من الجبهات، أحدهم كان الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر، الذي كان البعض يقدِّره، والبعض يتخوّف أويغار منه، لما أظهر من صفات الفتوة

والشجاعة، وما كان يتمتع به من صفات الهيبة، وكان حين يتكلم عن حرب الجزائريين في الحرب العالمية الأولى، كان يقول بكل مرارة: "لقد وضعونا في الصفوف الأولى، وذلك دون مقابل من التشريفات أوالمزايا".(1)

فعلا، لقد عرف الجزائريون، معنى الحرب وأبعادها ونتائجها، فقد كانوا يدفعون الثمن ولا يستفيدون، ويعلمون، أن الحرب حين تقوم، فإنما تقوم بين الأقوياء، فتتحطم الرؤوس، وتهوى دول، والشعوب الضعيفة، هي التي تدفع الثمن، ولكن هيهات، فالجزائريون، ما خضعوا وما إستكانوا يوما لإرادة فرنسا، بل ثاروا في ثورات مستمرة ومتواصلة.

(1)- أنظر: عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل (1 ماي — 30 أوت 2000) الجزء الثاني، خطاب أمام المركز العالمي للسلم بـ (فيردان– Verdun) مديرية الإعلام، رئاسة الجمهورية، الجزائر، أوت 2000م ص 331 — 357.

ثورة الأوراس 1916م

في خضم الحرب العالمية الأولى، كان الإستياء والتذمر يزداد من سياسة فرنسا الاستعمارية، التي عمدت إلى تسليط نوع من الإضطهاد والبطش بحق سكان الأوراس، منها إجبارهم على المشاركة في الحرب بالتجنيد الإجباري، مما أدى إلى بروز العنف الثوري، إذ ظهر العصيان وعدم طاعة الإدارة الفرنسية[1] خاصة وأن هناك من الثائريين من تمركزوا في الجبال، وأعلنوها ثورة على فرنسا وعملائها.

أمام هذه الأوضاع بدأت بذور الثورة باتفاق زعماء قبيلتي أولاد سلطان والخذران بمهاجمة برج حاكم عين التوتة في ليلة 12 نوفمبر 1916م (هنري مارسيل – Henri Marcelle) ولم يتمكن الحراس حتى من إيقاظه، وكان أول من تلقى ضربة قاتلة، وأصيب نائب دائرة باتنة (كسينلي فيكتور– Cassinilley Victor) الذي كان في مهمة بعين التوتة، توفي على إثرها، كما جرحت إحدى بنات حاكم البلدية، واستولى الثوار على ما في الخزينة، وأثناء الإنسحاب أمر الثائر محمد بن علي بن النوي بإضرام النار في البرج.

(1) لمزيد من التفاصيل أنظر، د.سعد الله أبوالقاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1900- 1930 م) ط 1، بيروت، دار الآداب، مارس 1969م، صفحة 237 — 251.

في ليلة 14 نوفمبر 1916م اجتمع أعيان كل من سكان بيطام وأولاد سلطان وسقانة وأهل الحضنة الشرقية، وقرروا الهجوم على برج بريكة ليلا، واتهم الفرنسيون شيخ سقانة بلوذيني، وشيخ أولاد عوف بوهنتالة وحسين الشريف بن التومي، مقدم زاوية مقرة بتنظيم هذا الهجوم، أثناءها عبرت قوات فرنسية بقيادة العقيد (ديلوم– Delom) منخفضات جبل أولاد سلطان إلى جبل متليلي[1]، الذي أصبح ملجأ للثائرين، وحوصر الجبل من جميع الجهات، وكلف الفرسان بمراقبة الممرات والمضائق الجنوبية والغربية، كما أقيم حاجز على منبع الغزلان، وعلى وادي (سبع مقاطع) لمنع إنسحاب الثائرين نحوالجنوب.

في تلك الأثناء، تم سحب الفرقة رقم (205) من جبهات القتال بأوربا، ووجهتها الأوراس، لتوضع تحت قيادة الجنرال (ميني –Miny) ابتداء من شهر جانفي 1917م لتباشر عملياتها التمشيطية، إذ تم القبض على كثير من الثائريين، وكان القمع شديدا وصارما، حيث بدأت معنويات الثوار تنهار، خاصة عندما قامت السلطة الإستعمارية بجمع النساء والأطفال في محتشدات بعين التوتة ومروانة، من أجل الضغط على الرجال للإستسلام، وفعلا إستسلم معظمهم من أجل إنقاذ عائلاتهم من البرد والجوع والإهانة، وبهذه الطريقة تم إخماد الثورة في ظرف شهرين، وذلك عن طريق الحرب النفسية، وكشف مخابىء تواجد

(1) جبل متليلي: يقع في الطريق بين عين التوتة والقنطرة.

الثوار والأسلحة والمؤن، كل هذه العوامل وغيرها، ساهمت في إحباط معنويات الثوار، بحيث إستسلم الكثير منهم بأسلحتهم، لأن الإمكانات المادية قد نفذت، والجانب البشري الثائر، أوشك أن ينتهي[1]، ونذكر بعض الثوار الذين كان لهم ذلك الدور الكبير في اشتعال فتيل ثورة 1916م، وانتشارها وتوسعها، وهم: محمد بن علي بن النوي[2] من متليلي، صحراوي محمد بن عمر الشليحي مقدم الطريقة الرحمانية بدوار البريكات، أحمد جاب الله، نفي إلى كاليدونيا، الحاج محمد بن لوذيني محمدي شيخ زاوية سقانة، نفي إلى سعيدة وتوفي بها، محمد بن أحمد بوهنتالة، سُجن بباتنة وتوفي بالسجن، الشيخ محمد بن السعيد رحماني، نفي إلى وهران مدة أربع سنوات، عمر أوموسى عقيني، المسعود بن زلماط الأول، العيدون الهيدوق[3] جاب الله مرزوق

(1)- مقابلة شفوية: أذكر، أنه في ذات يوم من أيام نوفمبر من عام 1989 م. كنت صحبة الشيخ محمود الواعي والأستاذ محمد الطاهر عزوي — رحمهما الله — في زيارة لدائرة عين التوتة، حيث إستقبلنا السيد رئيس الدائرة محمد سعودي (رئيس دائرة تبسة حاليا) أيما استقبال وتطرقنا في حديثنا لثورة 1916م. وهنا حدد لنا موعدا مع الشيخ محمود العباسي (1905 – 1995م) وهومن أولاد سلطان المعايش والمعاصر للثورة، وقد حدثنا عن مقدماتها وأحداثها وجوانبها بأدق التفاصيل، وقد كتبت المقابلة في كتاب ثورة الأوراس بعنوان :شهادات ووثائق عن ثورة 1916م. صدر الكتاب عن دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع– عين مليلة، إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة بالأوراس. 1996م، ص 521 — 528.

(2)- حُكم على الثائر، محمد بن علي بن النوي بالإعدام، في شهر فيفري عام 1917م باعتباره قاتل الحاكم، مع ثلاثة عشر من رفاقه رميا بالرصاص، أمام الملأ في سوق عين التوتة، وهذا ترهيبا للسكان.

(3)- لمزيد من التفاصيل أنظر: ثورة الأوراس 1916م إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر بالأوراس، مرجع سابق، ص 220 – 233، أيضا لحسن بن علجية، العلامة عبد السلام بن عبد الرحمن السلطاني، مرجع سبق ذكره، ص 26 - 27.

بن الحاج عبد الله، الصالح بن محمد أمزيان (بومصران) الجمعي السعيد بن الحسين، عبد الله بن عيسى بوقرة، فوحال عجول بن حمو، بن جاب الله الهوام، أحمد بن الطيب بوزيد، محمود بن عبد الله بن عبد الصمد، حرز الله عيسى بن حرزالله، قدوري النوي شباحي وبن عبيدي الصالح وآخرون.

بداية المرحلة الأخيرة

بداية المرحلة الأخيرة

أظهرت الأحداث، أن الشعب الجزائري، ما خضع ولا استكان يوما لإرادة فرنسا، فبعد مرحلة الثورات المريرة والانتفاضات المتواصلة، كانت الحرب الكبرى التي زج فيها أبناء الجزائر كرها، وكانت نهايتها لصالح التحالف[1]، وفرنسا تدرك جيدا أن الجزائريين لا يفتأون يطالبون بحقوقهم، و تمثل ذلك في رسالة قدمها الأمير خالد إلى (هيريو– Herriot) رئيس وزراء فرنسا في سنة 1924م تحوي مطالب منها:

تمثيل الجزائر في الجمعية الوطنية الفرنسية (L'Assemblée Nationale) مساوية بنسبة المعمرين (Les Colones).

* المساواة في المسؤوليات والحقوق مع الفرنسيين، بخصوص الخدمة العسكرية.

* إلغاء كافة القوانين الاستثنائية، والاجراءات المتخذة ضد الجزائريين، خاصة (قانون الأهالي– code de l'indigéna) و(محاكم القمع- tribunaux Répression).

(1)- انتهت الحرب العالمية الأولى، بعد أن قاسى الشعب الألماني الحرمان والجوع، وأضناه القتال المستمر، وتخلى عن تأييد الأمبراطور، فتمرد البحارة، وأعلنت الجمهورية، وتألفت في برلين حكومة مؤقتة (اشتراكية) طلبت الهدنة من التحالف في 11 تشرين الثاني — نوفمبر 1918، وقد انصب الدمار على أوربا بالدرجة الأولى، واستفادت من الحرب الولايات المتحدة الأمريكية واليابان.

وقد ضايقت السلطات الفرنسية الأمير، بعد نشره هذا البرنامج ودفاعه عنه، واتهمته بالتعاون مع ثورة عبد الكريم الخطابي بالمغرب[1] مما دفعه إلى الهجرة إلى سوريا في آخر الأمر.

وبعد الأمير خالد، كان مصالي الحاج، حيث أسس في المهجر عام 1926م حزبا ضم أغلب المغاربة الموجودين في أوروربا الغربية من عمال وطلاب، وسماه (نجم شمال إفريقيا – E.N.A.)[2] وقد رفع هذا الحزب شعار:

* الاستقلال التام للجزائر.
* انسحاب قوات الاحتلال الفرنسي.
* تشكيل جيش وطني.

وكان هذا سببا لحله عام 1937 م من قبل الحكومة الفرنسية، ولكن بعد حل حزب (نجم شمال إفريقيا) قام مصالي الحاج بتأسيس حزب (الشعب الجزائري – P.P.A)[3] في 11 مارس 1937م حمل نفس شعارات

---

(1)- ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي بالمغرب: ثورة شعبية كبرى، إنتصرت على الجيش الإسباني عام 1920 م وعاود الإسبان الهجوم للقضاء على الثورة وإنتزاع مكاسبها، إلا أنهم منوا بهزائم جديدة، إضطرتهم إلى مفاوضة الأمير الخطابي من أجل جلاء جيوشهم من المغرب، إلا أن إسبانيا تحالفت مع فرنسا فاشتركتا في الهجوم على قوات الأمير، الذي قاوم ببسالة جيوش الدولتين، لكنه استسلم للفرنسيين في عام 1926م ونفي إلى جزيرة مدغشقر (Madagascar)، وظل في منفاه أكثر من عشرين سنة، حتى سعت دول الجامعة العربية لتحريره، وعاش في مصر، حتى وافته المنية عام 1963م.

(2)- Etoile Nord Africane.

(3)- Parti du Peuple Algérien.

ومنهاج الحزب السابق، وقد تمكن الحزب الجديد[1] من أن يكسب أنصارا كثيرين داخل الجزائر وخارجها، حتى جرى حله بدوره.

في نفس الفترة ظهرت حركة جديدة، كان لها فضل كبير في تعبئة المشاعر الوطنية والدينية ضد الاستعمار الفرنسي وهي: (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)[2] برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، التي بدأت نشاطها عام 1931م.

في سنة 1938م أنشا فرحات عباس حزبا دعاه باسم (إتحاد الشعب الجزائري– U.P.A)[3] وقد طالب في برنامجه وجوب تمتع كل جزائري بحقوق المواطنة، وكان رد السلطات الفرنسية حل الحزب، وملاحقة فرحات عباس نفسه.

(1)- تمكن حزب الشعب الجزائري في هذه الأثناء بأن يتحرك على الساحة الوطنية، ولمزيد من التفاصيل أنظر، محمد قداش، محفوظ قداش، حزب الشعب الجزائري، وثائق وشهادات لدراسة الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985، ص 200 وما يليها.

(2)- بمناسبة تمام قرن على غزو واحتلال الجزائر، صلى الفرنسيون صلاة الجنازة على الإسلام والعربية في الجزائر، وقالوا: لقد قبرناهما إلى الأبد، إلا أن العيد المئوي كان خيرا على الجزائريين، وكان من الأسباب المباشرة لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في يوم الثلاثاء 17 من ذي الحجة عام 1349هـ / 05 ماي 1931م برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس.

(3)- Union Populaire Algérienne.

الجزائريون والحرب العالمية الثانية (1939-1945)

الجزائريون والحرب العالمية الثانية

(1945 - 1939)

عندما شق الجيش الألماني طريقه في أول سبتمبر من عام 1939 م عبر بولونيا[1] بدأت بذلك أعظم حرب دموية في تاريخ العالم، وأكثرها نفقة وأوسعها نطاقا وأشدها تدميرا، فبينما كان القتال في الحرب العالمية الأولى مقصورا إلى درجة كبيرة على قارة أوربا، جعلت الحرب العالمية الثانية من جميع القارات- فيما عدا أمريكا الجنوبية- ساحة هائلة واسعة للطعن والقتال[2] وأكرهت الدول جميعا، حتى التي لم تشترك فيها بالفعل، أن تتحمل بدرجة كبيرة أو صغيرة، غصصها وآلامها، وأن تكوى بنارها، وتحس بكوارثها وفواجعها، منها الجزائر.

---

(1)- سبق الحرب العالمية الثانية، توقيع معاهدة بين فرنسا وبريطانيا وبولونيا، تتعهد الدولتان بحماية حدودها من الهجوم الألماني، ولذلك أعلنت الدولتان الحرب على ألمانيا، فاندلعت الحرب العالمية الثانية.

(2)- الحرب العالمية الثانية: وقعت بين (الحلفاء) بريطانيا، فرنسا، روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وقوات دول (المحور) ألمانيا، اليابان، ايطاليا، اسبانيا، وهنغاريا (المجر).

والحرب هذه المرة بين ألمانيا وفرنسا[1]، فهل يكون الجزائريون بجانب هذه أوجانب تلك؟! هذه فرنسا ذاقوا مرّها، وتلك ألمانيا ويعرفون أطماعها، ولكنها عدوة فرنسا و(عدو العدو صديق) ومن هذا التفكير، انطلق كثير من الجزائريين يتفاءلون بالحرب، اعتقادا منهم بأن التنافس بين الأقوياء، يتيح الفرصة للضعفاء لأن يتنفسوا، وأن يجدوا منفذا لتحقيق بعض الرغبات الوطنية على الأقل، وقد شعرت فرنسا بهذه الروح، التي بدأت تسود في الأوساط الجزائرية، وبدلا من أن تسير في اتجاه عملي يتجاوب مع الآمال الوطنية للشعب الجزائري، لجأت إلى متابعة الوطنيين بالقهر والبطش، فلقد طغت موجة عنيفة من الاعتقالات تبعتها حملات تعذيب مرعبة ومحاكمات

---

(1)- لمزيد من التفاصيل، أنظر خيري حماد، موسوعة تاريخ ألمانيا الهتليرية- الجزء الرابع- دار الكتاب العربي بيروت 1966م؛ ط 2، ص 356-363 أيضا موسوعة تاريخ العالم، ويليام لانجر، ترجمة الدكتور عبد المنعم أبوبكر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971م، ج 8، ص 3002 – 3004. نورد بعض ما ورد بإيجاز في:

17-21 ماي 1940: اندفعت الفرق الميكانيكية الألمانية بعمق في شمال فرنسا.

16 جوان 1940: سقطت بولونيا في يد الألمان.

10 جوان 1940: غزت القوات الايطالية جنوب فرنسا.

13 جوان 1940: أخلت باريس أمام التقدم الألماني المستمر.

16 جوان 1940: سقطت قلعة (فيردان- VERDUN) الفرنسية.

22 جوان 1940: وقعت الهدنة بين الألمان والفرنسيين، تضمنت نزع سلاح القوات الفرنسية، ووضع ثلاث أخماس فرنسا تحت السيطرة الألمانية.

4 جويلية 1940: استولت بريطانيا على جميع السفن الفرنسية الراسية في الموانئ الجزائرية بعد تدمير معظمها.

بالإعدام[1]، منها اعتقال الشاب الكشاف[2] محمد بوراس بتهمة (الجوسسة لصالح الألمان) وحكم عليه بالإعدام يوم 27 ماي 1941م.

حينما حل الجيش الألماني عام 1942 بتونس، قرر الجزائريون أن يكوّنوا جيشا جزائريا، بحكم وجودهم قريبا من الحدود الجزائرية التونسية في الجيش الفرنسي، والذين أسرهم الألمان[3] وكوّن هذا الجيش قيادة جزائرية وفتح واجهة على الحدود الجزائرية - التونسية، حقق فيها انتصارات على الحلفاء، وبعد انسحاب الجيش الألماني من تونس، وقع العديد من قادة وجنود الجيش الجزائري في قبضة الفرنسيين، وحوكموا وصدرت ضدّهم أحكام قاسية.

وخلال الحرب، ظهر تحوّل في موقف الجزائريين بتأثير اشتراكهم في الحرب، وهزيمة فرنسا أمام الألمان، والأفكار الجديدة التي انتشرت

(1)- تستند فرنسا على جهاز بوليسي رهيب، مقسم إلى عدة فرق هي: القوة الضاربة، بوليس أمن الدولة، فرقة التفتيش الإداري، فرقة المباحث العامة، وهي جهاز قمعي يضم جيش من العملاء وجيش من المجندين في أعمال التجسس، وتعقب الوطنيين من وفي مستعمراتها، إضافة لفرق البوليس المتواجدة في القرى والمدن بشكل سري أوبشكل آخر.

(2)- بدأت الحركة الكشفية في الجزائر عام 1935م عندما أسس محمد بوراس، أول فوج للكشافة الإسلامية الجزائرية، وسعى إلى تحضير الشروط الملائمة لتوحيد الحركة الكشفية، وذلك من خلال مؤتمر وطني، يؤدي إلى ربط الحركة الكشفية بشمال أفريقيا لا لفرنسا.

(3)- حدثني أحد المجندين الجزائريين في الحرب العالمية الثانية، أنه لما وقع في الأسر مع المئات من المحاربين في أيدي الجيش الألماني، كان الألمان يحوّلوننا كل إلى وجهته، فأبناء شمال افريقيا يجدون أنفسهم عاملين في المطاعم وفي أعمال أخرى، لا يوجد فيها عبء ثقيل. أنظر: محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1454م، دار البعث، قسنطينة، ط 1985م، ص 197 - 199.

أثناء الحرب، فبعد نزول الحلفاء في الجزائر عام 1942م فوجئت فرنسا بإجماع زعماء الجزائر حول بيان قدمه باسمهم فرحات عباس، وكان هذا البيان (بيان الشعب الجزائري- manifeste du peuple algérien) نقطة تحول في تاريخ السياسة الوطنية في الجزائر، وقد واجهت فرنسا أنصار البيان بالعنف، فاعتقلت رئيسهم فرحات عباس وعدد من الزعماء، ولم يحدث أي تقدم في الحركة الوطنية الجزائرية، لأن ألمانيا تركت لحكومة (فيشي-Vichy)[1] حريتها الكاملة بالعمل في الجزائر فرفض ممثلو هذه الحكومة، عريضة فرحات عباس، التي تطالب ببعض الحقوق كالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين.

مع اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية، رأت فرنسا أن تسمح بنوع من الحريات السياسية، فأعلنت عن قرب إجراء إصلاحات واسعة في النظام السياسي والإداري في الجزائر، وهذا ما سمح لكل من فرحات عباس ومصالي الحاج بالعودة إلى ممارسة النشاط السياسي من جديد، حيث أسس فرحات عباس حزبا جديدا تحت اسم (الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري -U.D.M.A)[2]

(1)- حكومة (فيشي vichey): حكمت فرنسا بعد سقوط باريس عام 1940م وأصبحت موالية لألمانيا النازية، وبعد إنزال الحلفاء بالجزائر عام 1944م احتل هتلر كل فرنسا،وظلت حكومة (فيشي) في الحكم، حتى انهارت عام 1945م.

(2)- Union Démocratique des Manéfeste Algérien.

وأما مصالي الحاج فقد أسس في تلك الفترة حزبا جديدا بدلا من (حزب الشعب) أطلق عليه إسم (حركة انتصار الحريات الديمقراطية – M.T.L.D)[1] هذه الحركة، تختلف عن كل حزب آخر، بأنها احتوت تنظيما سريا، وهذا التنظيم أصبح من أشد الحركات الوطنية رسوخا وأقواها جذورا في خلايا الشعب الجزائري.

فعلا، لقد كان الطريق شاقا وطويلا، وهو طريق (تيار التاريخ) غير أن فرنسا، لم تدرك هذه الحقيقة التاريخية، لا من حيث هزيمتها في الحرب العالمية الأولى ولا الحرب العالمية الثانية.

(1)- Mouvement pour le Triomphe des Libertés Démocratique .

مخازي المنهارين
مخازي المنهارين

في شهر ماي 1945م وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها[1] وتخلصت فرنسا من قبضة الألمان الخانقة، وتحررت بفضل الحلفاء، وعز عليها، أن يردد على مسمعها، ما مفاده، أنها استنجدت بجيش من أبناء أفريقيا الشمالية للدفاع عن وجودها أمام المد النازي، وأنها خاضت حرب التحرير والخلاص بدماء وأرواح غيرها من الشعوب ولم تقبل أن يسجل التاريخ، أن باريس هوت مستسلمة مستكينة، أمام حجافل برلين الزاحفة، حتى قوس النصر بباريس (l'Arc de Triomphe) بل لقد باركت الحكومة الجديدة، يد هتلر المدودة على بلاد الغال (Les Gaulois) وأصبحت موالية لألمانيا النازية، وهذا يعني أن استقلال فرنسا، انتهى أمام الحلفاء والعالم، نتيجة الصدمات العنيفة، التي تلقتها من الألمان، وتركتها غارقة في حالة من الوجوم، واليأس في أمل التحرير، ورأت في كبريائها عارا، وتصورت بأنه لا يمحى إلا بالدماء والدمار، فهرعت نحو الانتقام. إذ حدثت اصطدامات مروعة بين الجزائريين من جهة، وبين أجهزة السلطة الاستعمارية والمعمريين الأوربيين من جهة ثانية، حيث أراد الأروبيون، ضرب الحركة الوطنية قبل استفحالها.

(1)- إنتهت الحرب العالمية الثانية باستسلام ألمانيا بلا قيد أو شرط في الساعة الثانية والدقيقة الواحدة والأربعين من صباح السابع من أيار / ماي 1945م وسيطر صمت غريب على القارة الأوروبية لأول مرة منذ اليوم الأول من شهر أيلول /سبتمبر 1939م في هذه الفترة التي إمتدت خمس سنوات وثمانية أشهر وسبعة أيام، قتل فيها الملايين من الرجال والنساء في أكثر من مائة ميدان وفي أكثر من ألف مدينة، وحكم على رؤساء وقادة دول المحور بالموت، عدا إمبراطور اليابان (هيرو هيتو– Hiro Hito) الذي إستمر في الحكم حتى عام 1989م؟

بدأت هذه الحوادث حين أراد الجزائريون، وأغلبهم من العمال، أن يحتفلوا بمناسبة إنتصار الحلفاء على دول المحور، فحملوا العلم الوطني الجزائري مع لافتات تطالب بالاستقلال، فحصل الصدام الأول بين الجهتين، ولكنه لم يكن اصطداما خطيرا، وبعد أسبوع واحد من هذا الصدام، حاول محافظ الشرطة الفرنسي (لوسيان أوليفيري- Lucien Olivieri) في مدينة سطيف يوم 8 ماي 1945م أن ينزع العلم من حامله بوزيد شعال، الذي سقط شهيدا، فحصل اشتباك عنيف بين الطرفين، سرعان ما تفاقم وامتد حتى شمال القسم الشرقي والجنوب الشرقي من الجزائر، وقد استخدم الجيش الفرنسي فيه كامل قوته وأسلحته من طيران حربي وأسطول بحري ومشاة ومصفحات ضد المدنيين العزّل، وهذا ما أسفر عن سقوط أكثر من خمسة وأربعين ألف شهيد، مقابل حوالي مائتي أوروبي قتيل في الفترة الواقعة بين 1 و11 ماي 1954م وقد تركت حوادث ماي أثرا أليما في نفوس الجزائريين، وأحدثت قطيعة كاملة بين الجزائريين، وبين كل من يؤيد فرنسا ويقف معها، بدلا من أن يقف في خندق المواجهة.

إن الفكر النيّر، الذي قاد أبناء الجزائر لمواصلة النضال الثوري، نجد له روافد لا تنضب، ومن أمثلتها ما تحمله هذه السطور لنائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ محمد البشير الابراهيمي، الذي خلّد مجازر الثامن ماي بقوله: (لك الويل أيها الاستعمار، أهذا جزاء من استنجدته في وقت العسرة، فأنجدك، واستصرخته حين أيقنت بالعدم،

فأوجدك، أهذا جزاء، من كان يسهر، وأبناؤك نيام، ويجوع أهله، وأهلك بطان، ويثبت في العواصف، التي كادت تطير فيها نفوس أبناءك شعاعا، أيشرفك أن ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله، بعد أن شاركك في النصر، لا في الغنيمة، ولعل فرحته لانتصارك مساوية لفرحته بالسلامة، فيجد الأب قتيلا، والأم مجنونة من الفزع، والدار مهدومة أو محرقة، والغلة متلفة، والعرض منتهكا، والمال نهبا ومقسما، والصغار هائمين في العراء.

يوم 8 ماي، يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج شهره من طاعة الربيع، فلا ثمر ولا نَوْر[1] وغبنت حقيقته عن الأقلام، فلا تصوير ولا تدوين.

يا يوم!... لك في نفوسنا السمة التي لا تمحى، والذكرى التي لا تنسى، فكن من أية سنة شئت، فأنت يوم 8 ماي وكفى، وكل مالك علينا من ديْنٌ أن نحيي ذكراك، وكل ما علينا لك من واجب، أن ندون تاريخك في الطروس[2] لئلا يمسحه النسيان من النفوس)[3].

---

(1)- النّور أوالنوّار، نور الشجرة الواحدة نوّارة، وهي مجموعة من الأزهار وتخرج من شمراخ زهري واحد (كسنبلة القمح).

(2)- الطروس: الصفحات التي محيت، ثم كتبت.

(3)-الشخ محمد البشير الابراهيمي، عيون البصائر: دار المعارف، القاهرة، 1963، ص 361 – 364.

لقد قدم الشعب الجزائري، فلذات أكباده ضحايا على مذابح الحرية بسخاء، لم يعرف له التاريخ مثيلا من قبل، وأعطى للإنسانية أمثولات خالدة في الإباء والصبر والشجاعة والاستمرار في الكفاح، أمثولات، يقف أمامها وطويلا مئات الملايين من بني البشر، احتراما وتقديرا لعظمة هذا الشعب، الذي منحها ومجانا، نماذج رائعة من نماذج التفوق على الألم والخوف والقسوة.

الإعداد والإمداد
الإعداد والإمداد

استخلص الجزائريون العبر من نتائج الحرب العالمية الأولى والثانية، ومن مجازر الثامن من ماي 1945م إذ أصيبت الحركة الوطنية بطعنة مريرة، أثبتت للشعب، وأكدت للمناضلين الوطنيين، أن فرنسا لا يمكن أن تقتنع يوما، أن للشعب الجزائري الحق في الحرية والاستقلال، وتيقنوا أن لا سبيل، إلا سبيل المقاومة المسلحة.

في هذه الأثناء حل بمدينة أريس محي الدين بكوش، المعروف في عنابة بـ (ولد الصادق الأمين) كان قد أعتقل وأودع سجن تازولت، وبعد الافراج عنه، وضع تحت الإقامة الجبرية بأريس، فكان أن إتصل بالحاج زراري سمايحي، فإستطاع أن يكون خلية أولى لأول نظام سياسي في المنطقة تتكون من: الحاج زراري سمايحي، الصالح مختاري، لخضر بعزي ولخضر قربازي وانضم مصطفى بن بولعيد إلى التنظيم السياسي في شهر ماي 1945 فكان عنصرا فعالا، حيث أعطى نفسا جديدا بنشاطه وماله لحركة إنتصار الحريات الدمقراطية.

وكان أن ثار في الأوراس، عناصر حملوا السلاح ضد الاستعمار الفرنسي، وأطلق على هؤلاء ما أصطلح عليه بـ (لصوص الشرف) أو (الخارجين عن القانون) وأخذوا يصعدّون في لهجتهم ويوسعون فكرة الانتقام، فأعلنوها حربا مفتوحة على فرنسا وأعوانها، الذي لا يتورعون في مصادرة أملاك السكان وإرهاقهم بالضرائب، وإلى

التمادي في الضغط والترهيب والوعيد لكل من يرفض سياسة فرنسا، ونذكر من هؤلاء الثائرين: الحسين برحايل، بلقاسم قرين، الصادق شبشوب (قوزير)[1] المكي عايسي، الصالح وصاف، مسعود بن زلماط، علي درنوني، رمضان حسوني، محمد بن عمر بن سالم، محمد بلعكل، لخضر بن قدور، محمد الصالح بن سالم، المسعود مختاري، علي درنوني، مسعود معاش، الوردي بن عبد الهادي أحمد قادة[2] (أطال الله عمره) لخضر بورك، بن لزرق وصاف، خالد نويوة، محمد العابد بونخل، ومحمد بن أحمد مزيشي، عمار بودر، وسي علي صايغي.

غير أن ضرورة إيجاد هيئة تحضر للكفاح المسلح، كانت تفرض نفسها، ولهذا شرعت (حركة انتصار الحريات الديموقراطية) في تعبئة الشعب الجزائري للنضال الثوري، فعقدت إجتماعا يوم 15 فيفري

(1)- الصادق شبشوب (قوزير) من المجاهدين الأوائل، الذين حملوا السلاح ضد الاستعمار الفرنسي وعملائه في الأوراس، ويعتبر الوحيد من بين أفراد جيش التحرير الوطني، الذي يسمح له بالتنقل بين مختلف الولايات بدون رخصة مرور.

حدث في 20 أكتوبر 1961م أن كان في الولاية الأولى قاصدا مسؤول الناحية الثانية سي موسى رداح، إلا أنه حوصر في بيت مع مجموعة من المجاهدين في جهة (تينيباوين) بلدية (تاكسلانت) قرب مركز المجاهد لخضر زيان مساعد القسمة، ويضيف محدثي مسعود عبيد، بقوله: "لما حوصرنا ولا سبيل لنجاتنا، قال لنا شبشوب أعطوني رشاشا آخر لأخرج وأفك الحصار، وحمل سلاحه الخاص (خماسي ألمان) وأشهر الرشاش متحفزا للخرج، إلا أنه أصيب بإصابة مباشرة، استشهد في الحين، وهنا اندفع المجاهدون تباعا، ليسقطوا شهداء واحدا تلو الآخر، أذكر منهم: محمد قيرواني، الجمعي برحايل، سعد بن زديرة، عيسى طالبي، سليمان عروة، وأصبت (محدثي) بإصابة في ذراعي الأيسر، واستطاع اثنان الخروج سالمين وهما: محمد الشريف جار الله وعمر جدي.

(2)- حُكم على هؤلاء الثائرين بالإعدام قبل عام 1950 المرجع: الرائد عمار ملاح، قادة جيش التحرير الوطني، الولاية الأولى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2014م ص 155.

1947م ببوزريعة العاصمة ثم يوم 16 بـ (بلكور) وتقرر تكوين (المنظمة الخاصة) (O.S)[1] أو السرية عام 1947م التي كان هدفها التحضير على مدى معين للعمل المسلح، وتم اختيار عناصرها بمقاييس مثل: الشجاعة، القوة الجسمية، كتمان السر، وأوكلت مهمة القيادة إلى هيئة أركان وطنية يتولاها منسق عام وهو محمد بلوزداد، وكانت المنظمة في أواخر 1949م قد أنهت تكوينها، هنا وهناك، وبدأ صبر المناضلين ينفذ، لأن القاعدة الثورية كانت تريد المرور إلى مرحلة أكثر حسما.

تولى القائد مصطفى بن بولعيد في (المنظمة الخاصة) مهمة الاتصال بالمناضلين في مختلف أنحاء البلاد، والعمل على تمتين العمل الثوري، وفق قواعد منضبطة، تساير متطلبات المرحلة وتعقيداتها، وكثرت المهام النضالية لأعضاء المنظمة، وبالفعل بدأوا بتعبئة مؤيديهم، وقاموا بإصدار نشرة سرية تحمل اسم (المواطن - Le patriote) كانوا يدعون فيها المواطنين الجزائريين للتحضر لحمل السلاح ضد المستعمر، والعمل على وضع حد للوجود الاستعماري في الجزائر.

وازداد الوضع تأزما بعدما كشفت أجهزة السلطة الاستعمارية بعض خلايا المنظمة الخاصة عام 1950م في مناطق تبسة وقسنطينة وعنابة وسوق أهراس ووادي الزناتي، وتم القبض على اثنين وعشرين مناضلا، بينما تمكن بعضهم من اللجوء إلى جبال الأوراس

(1)- Organisation Spéciale.

والآخرون عبروا الحدود إلى القاهرة، وهنا أدركت فرنسا، أن شيئا ما يبيت لها، وعليه، أصدرت الأوامر إلى أجهزتها -وما أكثرها - ببث العيون في كل جهة، ورصد حركات السكان.

وحدث أن كانت المحنة الشديدة على القائد مصطفى بن بولعيد في دار الأخوين السعيد ومسعود مشلق بباتنة يوم 16 جويلية 1953م إذ انفجرت القنابل التي كانوا يعدونها بالبيت، وحاصر الفرنسيون الدار، وألقي القبض عليهما، وعُذّبا، وصبرا، ولوأنهما إعترفا تحت طائلة التعذيب، لكان العمل الثوري بالأوراس في خطر.

اختار القائد مصطفى بن بولعيد مناضلين من الحركة الوطنية، أصحاب ثقة وعمل وثبات، أمثال: أحمد نواورة، عباس لغرور، بلقاسم قرين، مدور عزوي، عثمان كعباشي، محمد الطاهر عبيدي (الحاج لخضر) عجول عاجل، لخضر بن عمار كاوحة، الطاهر غمراس (النويشي) العايش بادسي، ومسعود عايسي ولخضر بن المسعود وصيفي (أطال الله عمره) والآخرون، وأمرهم بجمع الأسلحة وتخزينها والحفاظ عليها، والعمل على عدم تبذيرها في الصيد والأعراس، وجمع ما أمكن من الألبسة العسكرية.

كان أعضاء المنظمة الخاصة يعملون على تمتين القاعدة الثورية في الأوراس والزيبان والصحراء على حد سواء بقيادة محمد بلوزداد ومحمد بوضياف ومصطفى بن بولعيد، وكان لابد من توفير السلاح

وجلبه من مناطق وادي سوف ووادي ريغ وتونس وليبيا في مراحل متعددة وفي ظروف صعبة، وكان للرجال مغامرات محفوفة بالمخاطر في مجاهل وفيافي الصحراء الكبرى، بتوجيه من مناضلين، منهم: محمد عصامي[1] ومحمد الأمين العمودي.

تمر عملية جلب السلاح من تلك المناطق النائية عبر مناطق عديدة، وأخيرا تعبر صحراء فيض أولاد عمر وأولاد بوحديجة إلى زريبة الوادي، حيث نجد مناضلين متأهبين لإكمال عملية إيصاله وحفظه في مخابئ خاصية في منطقة زريبة حامد قرب قرية (توماس) ونذكر من هؤلاء المناضلين: محمد الصغير بلعيد حمودي، محمد الزريبي والطيب الحاج درنوني، وتنتهي مهمتهم بتسليم السلاح إلى مناضلين عرفا بالشجاعة والدهاء وهما: بلقاسم قرين وعثمان كعباشي ليتعهدا بحمله إلى عمق غابة كيمل لتخزينه بعد تمريره على مرحلة التجريب بالذخيرة الحية، لينقل بعدها إلى منطقة الحجاج، ويخزن في ديار، المناضلين: لخضر بعزي ومحمد بشاحي لليوم المرتقب الموعود.[2]

(1)- محمد عصامي: من السياسيين الأوائل الذين حملوا لواء الكفاح المسلح في الزيبان والصحراء، كان له دور كبير في دفع الحركة الوطنية للثورة، قام بمهام سياسية تاريخية، حدثني عن أمور ثورية سجلتها في صفحات.

(2)- لمزيد من المعلومات أنظر، محمد بوضياف، التحضير لأول نوفمبر 54، دار النعمان للطباعة والنشر، برج الكيفان، الجزائر، الطبعة الثانية، 2011 م، ورد في الصفحة 72 مايلي... فيما يخص الأسلحة، كان المستودع الرئيسي موجودا في الأوراس، وهو يحتوي على حوالي ثلاثمائة سلاح إيطالي، اشتريت أثناء 1947م – 1948م من ليبيا، وخزنت في بادئ الأمر بوادي سوف، ثم حولت سنة 1949م إلى الأوراس، حيث كانت مخبأة في براميل مملوءة بالزيت.

ثوّار عظماء

ثوار عظماء

في مطلع عام 1954م، تبلورت فكرة تكوين لجنة تطبق فكرة الكفاح المسلح نهائيا، وبذلك تكونت (اللجنة الثورية للوحدة والعمل– C.R.U.A)[1] بتاريخ 6 مارس 1954م التي تهدف إلى إيجاد قيادة ثورية موحدة، تتخذ الكفاح المسلح وسيلة لاسترجاع السيادة الوطنية، وتشكلت اللجنة من: محمد بوضياف، مصطفى بن بولعيد، مراد ديدوش، محمد العربي بن مهيدي، رابح بيطاط، كريم بلقاسم، محمد خيضر، أحمد بن بلة وحسين آيت أحمد، وأسندت رئاستها إلى محمد بوضياف، وشرع هؤلاء المناضلين في العمل للتعريف بأهداف هذه اللجنة، ودورها في التحضير للثورة المسلحة، وقد أخذ بعين الاعتبار التمثيل الجغرافي في القطر الجزائري، بحيث كلف كل عضو بجهة معينة، بينما كُلف وفد بالعمل السياسي خارج الوطن، وأصبح هذا الوفد على اتصال مستمر بالبلدان الأوربية، وفي مقدمتها سويسرا، بهدف تهيئة المناخ لاندلاع الثورة، وجمع الأسلحة وإرسالها إلى داخل الوطن بمختلف الوسائل.

واصل القائد مصطفى بن بولعيد الاجتماعات المتتالية، رغم تنقلاته إلى العاصمة ولبعض أنحاء الجزائر، وحتى السفر إلى الخارج، كان عمله الثوري في الأوراس متواصلا من حيث جمع الأسلحة

(1)- Le Comité Révolutionnaire d'Unité et d'Action.

وتخزينها، كما خصص فترة من شهر جوان إلى أوت 1954م لتدريب المناضلين تدريبا عسكريا مكثفا، والتمرين على حرب العصابات، وأمر كل مناضل أن يهيء سلاحه، وظل يؤكد أن القيادة الوطنية تعقد أملا كبيرا على منطقة الأوراس في تفجير الثورة وتغذيتها بأعداد المجاهدين والعتاد الحربي.

ولتقييم عملية التحضير للثورة المسلحة، عقد القائد مصطفى بن بولعيد سلسلة من اللقاءات في كل من: باتنة، تازولت، آريس وخنشلة، وكان أهمها الاجتماع الأول: إنعقد يوم 30 مارس 1954م بدار المسعود بلعقون في حي الزمالة بحضور نائبيه بشر شيحاني وعاجل عجول، الطاهر غمراس (النويشي) عباس لغرور، محمد خنتر، بشير حاجي، محمد الطاهر عبيدي (الحاج لخضر) ورشيد أحمد بوشمال، عمار معاش وأحمد نواورة، وكان موضوع الإجتماع هوالتعجيل بالعمل المسلح، لأن المناضلين في الأوراس نفذ صبرهم وأصبحوا لا يتحملون أكثر مما تحملوه بسب المضايقات المتكررة وتكالب الإستعمار وأعوانه عليهم.

وهنا عقدت (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) أول اجتماع موسع لها بتاريخ: 23 جوان 1954م في منزل المناضل إلياس دريش بحي المدنية (كلوصلامبي) سابقا، لإتخاذ التدابير اللازمة، لإنطلاق العمل المسلح، وقد ترأس هذا الإجتماع التاريخي مصطفى بن بولعيد، وتم تقديم الخطة الثورية، وتحضير برنامج العمل الثوري، والتجنيد والأهداف، وكان عدد الحاضرين إثنين وعشرين مناضلا وهم: مصطفى بن

بولعيد، ديدوش مراد، محمد العربي بن مهيدي، يوسف زيغود، محمد بوضياف، رابح بيطاط، لخضر بن طوبال، عبد الحفيظ بوصوف، سويداني بوجمعة، رمضان بن عبد المالك، مختار باجي، عمار بن مصطفى بن عوده، عبد السلام حباشي، بلحاج بوشعيب، عبد القادر العمودي، عثمان بلوزداد، السعيد بوعلي، الزبير بوعجاج، سليمان ملاح، محمد مشاطي، محمد مرزوقي، وإلياس دريش، صاحب الدار، لم يشارك في المداولات ولا في التصويت، إلا أنه اعتبر عضوا في مجموعة اثنين وعشرين، لأنه آواهم في منزله.

طلب رئيس الجلسة مصطفى بن بولعيد من محمد بوضياف تقديم تقرير بمساعدة محمد العربي بن مهيدي ومراد ديدوش، حول لائحة الشروع في الكفاح المسلح كوسيلة وحيدة لتجاوز الخلافات الداخلية وإعلان الثورة، وهنا تعهد مصطفى بن بولعيد للجمع بأن الأوراس، سيتولى إحتضان الثورة لمدة ستة أشهر من إندلاعها، حتى تشتد وتنتشر في كامل التراب الوطني، وقد انتهى التقرير بهذه الكلمات: (نحن قدماء المنظمة الخاصة، يرجع إلينا اليوم التشاور وتقرير المستقبل) وقد عرض محمد العربي بن مهيدي اللائحة، وتمت المصادقة عليها.

واصل القائد مصطفى بن بولعيد تكوين الخلايا السرية في الأوراس، فكانت في عين التوتة وباتنة وآريس وتازولت وبسكرة وخنشلة وسطيف وبريكة وعين ياقوت، وسيدي معنصر والمعذر

والشمرة ومروانة والجهات الأخرى، وزود مناضليها بالتعليمات الواردة في برنامج (اللجنة الثورية للوحدة و العمل) التي منها، توسيع الخلايا السرية، والاهتمام بالعناصر الفعالة، ونشر الأفكار التحررية بين المواطنين، وكثف القائد مصطفى بن بولعيد الاجتماعات بعدد من مناضلي الحركة الوطنية الوافدين إلى الأوراس، منهم: لخضر بن طوبال، رابح بيطاط، ديدوش مراد، عبد السلام حباشي، العربي دماغ العتروس، والفارون من سجن عنابة، عمار بن عودة، يوسف زيغود، سليمان بركات، عبد الباقي بكوش، ومحمد بوجدرة، وتولى السهر على حياة وتحركات هؤلاء كلا من المناضلين: مصطفى بوستة في ناحية أريس وتكوت، ولونيس عاشوري[1] في ناحية (إينوغيسن) واممد جرعاوي في ناحية كيمل الجنوبي، وعلي بدرة وعمه محمود في كيمل الشمالي، وعمار معاش في ناحية يابوس، المسعود دحماني (أطال الله عمره) في ناحية فم الطوب.

(1)- لونيس عاشوري (1924-1988) حدثني، وكنت معه فوق ربوة (عين الكبش) المطلة على منطقة (اينوغيسن) مشيرا إلى جسر بعيد، قال: هناك، نزل المناضل رابح بيطاط من سيارة عرفتها عن بعد، فأحضرته، وكان مع مناضلين وافدين إلى الأوراس.

اليوم الموعود
اليوم الموعود

لقد تقرر بداية المرحلة الجديدة للجزائر، وهي تقرير إندلاع الثورة المسلحة بمبادئها وأهدافها، فكان إجتماع القادة أعضاء لجنة الستة: وهم: مصطفى بن بولعيد، محمد بوضياف، مراد ديدوش، محمد العربي بن مهيدي، كريم بلقاسم ورابح بيطاط، بتاريخ 10 أكتوبر 1954م بحي الرايس حميدو (بوانت بيسكاد) سابقا، والذي تقرر فيه تقسيم التراب الوطني في المرحلة الأولى إلى خمس مناطق، وتعيين مسؤوليها ونوابهم على النحو التالي:

المنطقة الأولى (أوراس – النمامشة) المسؤول: مصطفى بن بولعيد، النواب: بشير شيحاني، عباس لغرور وعاجل عجول.

المنطقة الثانية (اسمندو – الشمال القسنطيني) المسؤول: مراد ديدوش، النواب: يوسف زيغود، لخضر بن طوبال، عمار بن مصطفى بن عودة وباجي مختار.

المنطقة الثالثة (القبائل) المسؤول: بلقاسم كريم، النواب: عمر أوعمران والسعيد محمدي.

المنطقة الرابعة (الجزائر وضواحيها) المسؤول: رابح بيطاط، النواب: بوجمعة سويداني، الزبير بوعجاج وأحمد بوشعيب.

المنطقة الخامسة (وهران وضواحيها) المسؤول: محمد العربي بن مهيدي، النواب: رمضان بن عبد المالك، عبد الحفيظ بوصوف وبن علاّ الحاج.

وتركت المنطقة السادسة (الصحراء) فيما بعد، أما محمد بوضياف، فمهمته التوجه إلى الخارج ليسلم البيان الأول للثورة التحريرية إلى البعثة المستقرة في القاهرة: أحمد بن بلة،محمد خيضر وحسين آيت أحمد، ليعلنوا نبأ إندلاع الثورة المسلحة من إذاعة صوت العرب من القاهرة، حسب التاريخ المحدد.

بعد هزيمة فرنسا في معركة (ديان بيان فو– La bataille de Diên Biên Phu)[1] في خريف 1954م في حرب الهند الصينية (الفيتنام) آنس أعضاء (لجنة الستة) للعمل المسلح، وأدركوا أن الفرصة أصبحت مواتية داخليا ودوليا لاعلان الثورة التحريرية، اجتمعوا يوم 23 أكتوبر 1954م في دار مراد بوكشورة بالعاصمة، واستعرضوا في الاجتماع مستجدات التنظيم الثوري والتحضير لمقدمات الثورة وتوفير الوسائل، وفعلا اتخذوا القرار الحاسم بتحديد اسم الحركة الثورية المسلحة الجديدة، فالجناح السياسي (جبهة التحرير الوطني) والجناح العسكري (جيش التحرير الوطني) وتحديد يوم انطلاقة

(1)- معركة (ديان بيان فو): معركة مصيرية بين قوات الجيش الفرنسي المتواجدة في مستعمرة الهند الصينية (الفيتنام) والمدعمة من قبل جيوش الحلف الأطلسي (الناتو– NATO) إذ كان الإنتصار، عندما خرج قائد الجيش الفرنسي (كريستيان دوكاستري– Christian de castries) حاملا الراية البيضاء، معلنا انتصار جيش الفيتنام بقيادة الجنرال (جياب – Võ Nguyên Giáp) في السابع من شهر جويلية 1954م.

الثورة التحريرية، وهو أول نوفمبر 1954م مع الإبقاء على سريته إلى موعده، وتحديد كلمة السر (خالد – عقبة) وكتابة البيان الأول للثورة التحريرية، وبعد الإنتهاء من الإجتماع، قصدوا إلى مصور بباب الوادي، وأخذوا صورة تذكارية، وقد استدعى مراد ديدوش الصحفي محمد العيشاوي، ليقوم بتحرير البيان وسحبه في (إيغيل إيمولا) بقرية زعموم في القبائل الكبرى.

أيام وليال الترقب

أيام وليال الترقب

كانت المستجدات تتسارع على أشدها في الأوراس، حيث عقد القائد مصطفى بن بولعيد، إجتماعا في أواخر شهر أكتوبر في قرية (لقرين) شمال مدينة دوفانة -طريق خنشلة- في دار المناضل بن مسعودة عبد الله (مزيطي) حضره قيادي المنطقة: الطاهر غمراس (النويشي) عن باتنة، عجول عاجل عن أريس، بن مسعودة عبد الله صاحب الدار، محمد خنتر عن بريكة، عباس لغرور عن خنشلة، وموسى حاجي عن الخروب.

في هذا الاجتماع عرض مصطفى بن بولعيد، نص بيان أول نوفمبر، وتم سحبه والقانون الأساسي لجيش التحرير الوطني، وعرض المستجدات السياسية والعسكرية في الجزائر عامة والأوراس خاصة، وحالة تطور الأحداث بسرعة نحو المواجهة المسلحة ضد الإستعمار الفرنسي وعملائه، هنا أخبر القائد مصطفى بن بولعيد، الجمع، بأن انطلاقة الثورة وشيكة، وإستحلفهم الواحد تلوالآخر على كتمان السر والمحافظة على ما جرى في الإجتماع إلى حين موعد اندلاع الثورة، ثم تلى عليهم بيان أول نوفمبر الذي حرر في الجزائر العاصمة من طرف الأمانة العامة، وكتب البيان باللغتين العربية والفرنسية، نقله عاجل عجول، باللغة العربية وعباس لغرور باللغة الفرنسية، وقد إقترح عاجل عجول على الحضور إرسال ثلاثين مناضلا من يابوس

إلى خنشلة للإنضمام إلى عباس لغرور لتنفيذ عمليات أول نوفمبر، فتمت الموافقة بالإجماع[1] وكان الاجتماع الموالي في قرية (لمدينة-إيشمول) في دار علي برغوث، تداول الحاضرون، مسألة اختيار المكان الاستراتيجي لجمع المجاهدين، وتوزيع السلاح[2]، وتوجيه الأفواج الضاربة، وتم تحديد دشرة أولاد موسى، وخنقة لحدادة لذلك، وهنا أمر القائد مصطفى بن بولعيد، عجول عاجل استدعاء المجاهدين للتجمع بدشرة أولاد موسى، كما طلب من الطاهر غمراس (النويشي) استدعاء المجاهدين، للتجمع بخنقة لحدادة، وكانت هذه التجمعات والتحركات، تتم في كتمان شديد وسرية تامة.

في ليلة 29 أكتوبر، اجتمع الرعيل الأول للثورة التحريرية في دار علي بن شايبة (أطال الله عمره) بدشرة أولاد موسى، كما اجتمع الرعيل الأول للثورة التحريرية بدار أحمد بولقواس بخنقة لحدادة، وكانت الدشرة والخنقة في حراسة مشددة، بحيث لا يخرج من دخلهما، وقد أقام المجاهدون يومي السبت والأحد في أماكن تواجدهم، استعدادا للانطلاقة الكبرى.

---

(1)- لمزيد من التفاصيل، أنظر، مذكرات المجاهد علي مزوز، الثورة التحريرية في منطقة الأوراس، بلدية يابوس أنموذجا، مطبعة عمار قرفي، باتنة 2014، ص 54-58.

(2)- بينما كان توزيع السلاح على المجاهدين، هناك آخرون واجبهم مرافقة ونقل ستين قطعة سلاح وكمية مائتي كيلوغرام من الذخائر بواسطة شاحنة أحمد رشيد بوشمال، بحيث يجب أن تصل هذا المساء إلى منطقة القبائل ليتسلمها الرجال الشجعان لاستعمالها في انطلاقة الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954، لمزيد من التفاصيل، أنظر، العماد مصطفى طلاس، المقدم بسام العسيلي، الثورة الجزائرية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1984، ص 109-117.

في ليلتي 30 و31 أكتوبر 1954م قام القائد مصطفى بن بولعيد بنشاط مكثف، حيث تم توزيع السلاح على الأفواج، وألقى خطابا توجيهيا هاما، حث فيه قادة الأفواج والمجاهدين على الصبر والثبات، وتوجيه الضربات العنيفة بكل قوة للعدو، وعدم التعرض للمدنيين وكانت كلمة السر ليلتها (خالد - عقبة) في هذه الليلة الليلاء، وفي اجتماع مكثف جمع فيه القائد مصطفى بن بولعيد قادة الأفواج، وقدَّم إليهم خارطة عليها أماكن تنفيذ العمليات، محددا إياها بإشارات ترمز لنوعية الهجوم، وأثناء هذا الجوالمفعم بروح التضحية والفداء، المليء بالرجاء، والمعفر بأريج الأمل، كان القائد مصطفى بن بولعيد، يُسدي التوجيهات لقادة الأفواج من دشرة أولاد موسى، وخنقة لحدادة مع أعضاء القيادة[1] التي تتكون من: بشير شيحاني، عجول عاجل، عباس لغرور، مصطفى بوسته، مدور عزوي والمسعود بلعقون.

(1)- للإطلاع أكثر، أنظر: الرائد عمار ملاح، قادة جيش التحرير الوطني، الولاية الأولى، الجزء الخامس، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2013، ص 176 وما يليها.

الأفواج الضاربة

الأفواج الضاربة

في سكون هدأة ليلة الاثنين 6 ربيع الأول 1374هـ الموافق 1 نوفمبر 1954م انطلقت الأفواج على بركة الله، وقد اندفع المجاهدون في تلك الهنيهات الطويلة، وتحركت أقدامهم بإلحاح في ظروف لم يعد فيها بد من الإقدام، وتستوي تضاريس الأرض في عتمة ليل نوفمبر البارد، وكانت الخطوات حثيثة وسريعة بين الجبال والروابي وعبر الشعاب والتلال والسفوح والوديان، وهي تشق طريقها صوب أهدافها المحددة، حاملة أمال الأجيال في الثورة والتحرير، كانت خمسة وثمانون فوجا بـ (أوراس – النمامشة) تحت قيادة مصطفى بن بولعيد كالآتي:

– أفواج دشرة أولاد موسى: ثمانية وثلاثون فوجا، خنقة لحدادة: تسعة أفواج، بسكرة: خمسة أفواج، بريكة: فوج واحد، لخروب: ثلاثة أفواج، يابوس: أربعة أفواج، خنشلة: ستة أفواج، ناحية الولجة: تسعة أفواج، ناحية تبسة: خمسة أفواج، سوق أهراس: أربعة أفواج.

أسماء رؤساء الأفواج التي انطلقت من دشرة أولاد موسى: علي بعزي: كان على رأس فوج، إتجه إلى مدينة باتنة لضرب جيش الصبايحية، الصالح غسكيل: اتجه على رأس فوج إلى خنقة بني بوسليمان جنوب مدينة آريس، صحبة لمبارك جغروري وآخرون، محمد مزوجي بن مسعود: اتجه بفوجه إلى فم الطوب لقطع الماء على المعمرين، العايش بادسي: ذهب بفوجه إلى تخريب جسر باشا على الطريق الرابط بين آريس

وباتنة، وبين آفرة والحجاج، محمد عفوفو: اتجه بفوجه إلى خنقة بني بوسليمان صحبة بلقاسم مباركية، الصادق جغروري: اتجه بفوجه إلى خنقة بني بوسليمان، لأنها منطقة استراتيجية في الربط بين بسكرة وآريس، ثم إلى مهاجمة ثكنة الدرك بتكوت، محمد بن بلقاسم بوزحافي: اتجه بفوجه إلى تخريب جسر باشا، وهو ما يحتاج في العملية إلى تظافر الجهود من طرف المجاهدين، عمار بن شايبة: ذهب بفوجه صحبة نائبه محمد الصغير بن شيخة إلى تحطيم منجم إشمول الذي ينتج الرصاص لفائدة الجيش الفرنسي، إسماعيل بن الحاج: ذهب على رأس فوج إلى شناورة، وهي منطقة استراتيجية، محمد الشريف بن عكشة: ذهب بفوجه إلى عين التوتة للقيام بقطع أسلاك الهاتف، علي بوستة: اتجه بفوجه إلى جسر باشا لتعزيز الفوجين السابقين، محمد الصغير عزوي: اتجه بفوجه إلى باتنة صحبة أحمد وصيفي (لخضر بن المسعود) ومحمد كيور وعزوي مسعود ومحمد بيوش لضرب الثكنة العسكرية والهجوم على مخزن الأسلحة، مصطفى غقالي: اتجه إلى تكوت لضرب مقر القايد وأعوانه، الوردي طورش: اتجه بفوجه إلى تخريب جسر الوضحة على الطريق الرابط بين فم الطوب ولمدينة على سفح جبل شليا الشمالي، علي بن خليفة عروفي: اتجه بفوجه إلى تازولت، أحمد بن النوي: اتجه بفوجه إلى إينوغيسن صحبة الصالح زردومي، وهي منطقة استراتيجية للتموين، بلقاسم بن عمار مزياني: اتجه بفوجه إلى جبل سراوات بكيمل وذلك لمراقبة تحركات العدو، بلقاسم بن محمد

الشريف بن شايبة: اتجه بفوجه إلى قطع أعمدة الهاتف على الطريق الرابط بين آريس ولمدينة، محمد بولقواس: ذهب بفوجه إلى تخريب جسر قرية الحجاج على الطريق الرابط بين آريس ولمدينة وخنشلة وبوحمامة ولمصارة، مصطفى رعايلي: اتجه بفوجه إلى قرزة، لمهاجمة حراس الغابة وافتكاك السلاح منهم، العربي لعروسي: اتجه بفوجه صحبة محمد عروفي لتخريب جسر (انزا نزديرة) على الطريق الرابط بين منعة وآريس وباتنة، عثمان كعباشي: اتجه بفوجه إلى كيمل وذلك لضرب حراس الغابة وأخذ السلاح منهم، بلقاسم بن عمر رحماني: اتجه بفوجه إلى باتنة لحرق محطة البنزين قرب محطة القطار، محمد شبّاح: اتجه بفوجه إلى جسر (انزا نزديرة) قرب الشناتيف، على الطريق الرابط بين باتنة وآريس وثنية العابد ومنعة، أحمد بن النوي بوجنيفة: اتجه بفوجه إلى إينوغيسن للمحافظة على المناطق الاستراتجية، محمد بلبار: اتجه بفوجه إلى تخريب جسر خنقة بورزان على الطريق الرابط بين آريس وعين الطين، محمد بن مسعود دراغلة: اتجه بفوجه إلى تخريب جسر باشا صحبة بلقاسم بورزان وآخرين، الشريف رابحي: اتجه بفوجه إلى ضيعة وادي الطاقة للهجوم على المعمرين، مسعود بعزوزي: اتجه بفوجه إلى قطع أعمدة الهاتف على الطريق الرابط بين باتنة وآريس، مسعود عايسي: اتجه بفوجه إلى افتكاك محصول الضرائب من خزناجي إشمول، المسعود بن بلقاسم بوزحافي: اتجه بمن معه من المجاهدين إلى كيمل، وهي منطقة استراتيجية تحتاج للدعم، محمد

علوي: المدعو (لاندوشين) اتجه إلى تخريب جسر منجم إيشمول شرقي قرية أولاد لحلوح، محمد بن الطاهر بورزان: اتجه بفوجه إلى تخريب جسر (أفرا) القريب من ديار والد مصطفى بن بولعيد، عمار بن سعد: اتجه بفوجه إلى خنقة بني بوسليمان صحبة عفوفومحمد وبلقاسم مباركية، أحمد بن عمار بنشوري: اتجه بفوجه إلى تكوت لمحاصرة دار القايد، أحمد نواورة: عيّن على رأس فوج، اتجه إلى مدينة آريس.

أسماء رؤساء الأفواج التي انطلقت من خنقة لحدادة: محمد الطاهر عبيدي (الحاج لخضر): اتجه على رأس فوج إلى مدينة باتنة لمهاجمة ثكنة المدفعية ومخزن السلاح، بلقاسم قرين: اتجه بفوجه إلى باتنة لمهاجمة ثكنة الحرس المتنقل، محمد بن ناجي: اتجه بفوجه إلى مدينة باتنة، وذلك لضرب ثكنة الحرس المتنقل، الطاهر غمراس (النويشي): اتجه بفوجه إلى مدينة تازولت، عمر العايب: اتجه بفوجه إلى باتنة، ناجي نجاوي: اتجه بفوجه إلى المعمرين بفم الطوب لحرق أكوام التبن وقطع أسلاك الهاتف وافتكاك السلاح من المعمرين، محمد بن بلقاسم كاوحة: اتجه بفوجه إلى منجم إشمول، وذلك لمساعدة فوج علي بن شايبة القادم بفوجه من دشرة أولاد موسى، لأنه اختصاصي في صنع الألغام وتفكيكها، محمد خلالفة: اتجه بفوجه إلى مدينة تيمقاد، وذلك لوضع لغم في جسر الربع، على الطريق الرابط بين باتنة وخنشلة [1]

---

(1)- تمّت كتابة هذه الأسماء، استنادا إلى محضر اجتماع انعقد ببلدية إيشمول، يوم 19 رمضان 1418هـ الموافق لـ 17 جانفي 1998م بحضور السيد رئيس المجلس الشعبي البلدي: محمد بن عكشة =

كانت من ضمن هذه الأفواج، أربعة أفواج[1] متجهين إلى باتنة، نقلوا في شاحنتين، شاحنة محمد بن الهادي بوخلوف، وشاحنة مبارك صوالحي، وسيارة فرحات بن شايبة، ولدى وصولهم إلى الضاحية الشرقية لمدينة باتنة، انقسموا إلى فوجين، فوج بقيادة محمد الطاهر عبيدي (الحاج لخضر) وفوج بقيادة بلقاسم قرين.

اتجه الفوج الأول نحو هدفه، وهو ثكنة المدفعية و(صيادي أفريقيا – Les chasseurs d'Afrique) ومخزن الذخيرة الحربية، وتوجه مجاهدان لمباغتة الحارس بالسلاح الأبيض، حتى لا ينتبه الآخرون من العساكر، في نفس الوقت، كان قائد الفوج (الحاج لخضر) ومن معه، يحاولون

= (1997-2002م) في الساعة التاسعة والنصف، وذلك لدراسة وإحصاء قوائم المجاهدين الذين أخذوا سلاحهم من قرية الحجاج قبيل الثورة، وانطلقوا في ليلة أول نوفمبر من دشرة أولاد موسى وخنقة لحدادة تحت قيادة مصطفى بن بولعيد، في ليلة 6 ربيع الأول 1374 هـ / 1 نوفمبر 1954م، وهذا بناء على تقارير ومذكرات بعض المجاهدين ورواياتهم، وانحصر هذا الاجتماع على مايلي:

حصر قائمة رؤساء الأفواج مع نوابهم، الذين انطلقوا من دشرة أولاد موسى وخنقة لحدادة، حصر أسماء مجموع المجاهدين، الذين توزعوا في هذه الأفواج، وتكلف بعضهم بمهام أخرى من طرف القيادة منذ تلك الفترة، حصر الرواد الذين قاموا بتوسيع الثورة خارج جبال الأوراس، وقد تكوّن الاجتماع من المجاهدين الآتية أسماؤهم: مسعود لعروسي، الصغير رابحي، الصالح عزوي، بلقاسم مزوج المدعو العايش، معمر بوسجادة، محمد جرموني، الجودي كيور، عمار نويوة، الهاشمي أوراغ، محمود صوالحي، أحمد بن شايبة، لخضر بن شايبة و بلقاسم منصوري.

بالإضافة إلى الرواة المذكورين في محضر الاجتماع، قام بإعداد هذه القوائم وتصحيحها وترتيبها الأساتذة: الشيخ محمود الواعي، الأستاذ محمد الطاهر عزوي، الأستاذ علي عزوزي، الدكتور محمد العيد مطمر والدكتور يوسف مناصرية.

(1)- لمزيد من التفاصيل عن قادة الأفواج والمجاهدين، الذين انطلقوا من دشرة أولاد موسى وخنقة لحدادة، في ليلة أول نوفمبر 1954، أنظر: مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة بالأوراس، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر 1999م، ص 115 – 142.

إحداث ثغرة في السور، فكان لهم ذلك، ودخلوا عليها متجهين إلى مخزن السلاح، واستطاعوا فتح بابين، الأول والثاني، فوجدوا كميات كبيرة من قطع الأسلحة مشدودة بالسلاسل والأقفال، بينما هم يحاولون قطع السلاسل وفك الأقفال، حدث، وأن أطلق المجاهدان النار على الحارس فأردوه قتيلا، وهو(كوشي أوجين – Chochet Eugene) وكذلك العسكري القناص (أودات بيار– Audat Pierre) وهنا أسرع العساكر وهاجموهم، فكان تبادل إطلاق النار بين الجانبين، وأعلنت حالة الإستنفار بالثكنة، ولم يبق أمام قائد الفوج (الحاج لخضر) ومجموعته إلا أن ينسحبوا بعد تفجير المخزن بما فيه، ثم توجهوا إلى حظيرة الخيول، فأطلقوها، وانسحبوا، وهم يطلقون النار صوب العساكر المهاجمة، ويفجرون القنابل داخل الثكنة، فاشتعلت النيران، وعم الدخان الأرجاء، لينذر فرنسا وعملائها، بأن شرارة الثورة، انبعثت وتعالت، وأن صواعق ماحقة ستصب على المحتلين، أنّى وجدوا في أرض الجزائر[1].

وهناك الفوج الثاني، فوج بلقاسم قرين، مهمته مهاجمة ثكنة الحرس المتنقل (garde mobile) وكانت العملية ناجحة على الرغم من صعوبتها وأهميتها في تلك الليلة المشهودة، وانسحبوا سالمين، واتجهوا إلى مدينة سريانة لمهاجمة حارس المدينة وأخذ السلاح منه، وأثناء

(1)- المرجع: محاضرة الدكتور محمد العيد مطمر، ألقيت بمناسبة الذكرى الأولى لوفاة محمد الطاهر عبيدي العقيد الحاج لخضر (1914–1998م) بمحافظة جبهة التحرير الوطني (سابقا) بحضور السادة: والي عبد القادر، والي ولاية باتنة (الأسبق) ومسعود عبيد، الأمين الولائي لمنظمة المجاهدين (الحالي) وجمع غفير من المواطنين.

تبادل إطلاق النار، سقط خلالها المجاهد عمر مزوجي (أوقرور) شهيدا، ويعد أول شهيد في الأوراس.

ونذكر، أن مسؤول منطقة وهران محمد العربي بن مهيدي، كلّف بن عبد المالك رمضان – من مجموعة اثنين وعشرين – مهمة المتابعة والتحضير للثورة التحريرية في منطقة مستغانم، وقاد ليلة أول نوفمبر 1954م هجوما على مركز الدرك بمنطقة سيدي علي ومزارع المستوطنين بمنطقة (بوسكات) سقط البطل خلالها شهيدا يوم 4 نوفمبر 1954م بمنطقة أولاد سيدي العربي بولاية مستغانم، وحدث في يوم 11 نوفمبر 1954م أن ألقي القبض على البطل أحمد زهانة[1] إثر إصابته بجروح بليغة، بعد اشتباك مع عناصر من جيش الاستعمار الفرنسي، ليزج به في الزنزانة رقم (2208) بسجن بربروس بالجزائر العاصمة، وكان في 19 نوفمبر 1954م أن أستشهد البطل باجي مختار – عضو مجموعة اثنين وعشرين – في معركة (دالي بن شوّاف) بمجاز الصفا قرب جبل بني صالح، أحد معاقل الثورة التحريرية في سوق أهراس.

(1)- نُفذ حكم الإعدام بالمقصلة على البطل أحمد زهانة (زبانة) ليكون أول شهيد نُفِّذ فيه هذا الحكم منذ اندلاع الثورة التحريرية بالجزائر العاصمة في يوم 19 جوان 1956م.

الفجر الساطع
الفجر الساطع

كان غسق ليل أول نوفمبر 1954م ومطلع فجره شؤما ورعبا على فرنسا وأعوانها في الأوراس، إذ هوجمت مراكز الفرنسيين في عموم الأوراس، وفي مشونش كان الهجوم بفوج الحسين برحايل، وما كان من (قايد) مشونش الصادق، والمعلم (مانروت -Manrot)[1] -معلم بقرية تيفلفال- وزوجته، إلاّ أن ولوا هاربين، لكن لم يفلتوا من يد الثورة في ممر مضيق (تيغانمين) حيث اعترضهم، الفوج المكلف بعملية رصد الطريق الرابط بين بسكرة وآريس، الذي تكون من الصالح غسكيل، محمد صبايحي، لمبارك جغروري، بلقاسم أوفافا، أحمد غقالي، إبراهيم بوستة، أحمد بن أحمد غقالي، عمار برغوثي ومحمد جرموني (أطال الله عمره) لقد تموضعوا خلف الصخور والأشجار، بعد أن وضعوا حاجزا من الحجارة في عرض طريق الحافلة الناقلة للبريد، التابعة للهاشمي حليمي، والوردي بوسعد، والتي كان يقودها السائق، الحاج ابراهيم حليمي.

صعد المجاهد لمبارك جغروري إلى داخل الحافلة - وقد حدثني بذلك في نفس المكان - تكلم مع الركاب، وأبلغهم بأن الثورة، اندلعت، وأن المجاهدين، تحملوا المسؤولية، وتعاهدوا على أن يواصلوا

(1)- كانت النظرة إلى المعلمين، تعتبرهم مبشرين بالتنصير والإدماج الفرنسي.

الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي وأعوانه، وواصل المجاهد كلامه، إلا أن (القايد) الصادق، ثار بعد سماعه صوت الحق، وأغلظ الكلام للمجاهدين، وتوعدهم لدى حاكم آريس[1]، وحاول المجاهد جاهدا تهدئته، وإرجاعه إلى جادة الصواب، وبخفة حاول (القايد) سحب مسدسه، إلا أن يد الثورة، كانت أسرع وأصوب، حيث كان المجاهد محمد صبايحي، يترصده مسددا صوبه، ويتابع حركاته من وراء صخرة، لا تبعد سوى أمتار، فأطلق عليه النار، فأصابه إصابة قاتلة، وتعرض المعلم لإصابة هوالآخر، بينما أصيبت زوجته بجراح خفيفة، وكانت الأوامر، ألاّ يطلق الرصاص، إلا على مصادر النار، تلك هي أوامر الثورة، التي نفذت.

وفي كلمة التأبين، التي ألقيت من قبل حاكم آريس على جثمان القتيلين، توعد فيها المجاهدين بالانتقام، وذلك بغرض التخفيف من الهلع، الذي سكن أعوان الاستعمار، منذ أن وصلت إلى آذانهم، أولى الأخبار (المنذرة) لهم باندلاع الثورة المسلحة، مما أقلق راحتهم، وجعل مستقبلهم، محاط بعلامات استفهام كبيرة ملغمة، وهذا ما زاد في عزيمة المجاهدين وإصرارهم على السير قدما مهما كانت التضحيات، من أجل تحرير الجزائر أرضا وشعبا.

---

(1)- نذكر بعض الحكام، الذين توالوا على دائرة (حوز) أريس، وهم ريغال، ميسكاتيلي، فيري، فابي وآخرهم ري، الذي أُقصيَ مباشرة بعد اندلاع الثورة. لمزيد من التفاصيل أنظر: د.محمد العيد مطمر، التنظيم الإداري في عهد الإحتلال الفرنسي، وأثره على الحالة الاجتماعية للسكان بمنطقة الأوراس، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة – الجزائر، العدد 4، ماي 2003م ص 41 – 53.

إن تذكر، الرعيل الأول للثورة التحريرية، يعيد إلى الذاكرة صور الرجال، الذين تتمثل فيهم حالات بطولية فريدة، تشكل مثار تقدير واعتزاز كل الجزائريين، لقد كان هؤلاء، كما قال فيهم أحد المفكرين المعاصرين: (كانوا على قدر من الشهادة من أجل الحياة الحرة، ولا حياة حرة كريمة بدون تضحيات، فبمقدار ما تجود النفس، بمقدار ما تمنح نفسها، حق الحياة الحرة الكريمة).

البيان الأول

إذا كان الإستعمار الفرنسي، قد أصيب بدهشة وصدمة من إندلاع الثورة التحريرية، فإن قادة الثورة، قد حرصوا على أن تكون إنطلاقة الثورة الكبرى محددة الأهداف واضحة المطالب لدى الشعب الجزائري، والرأي العام العالمي، وتماشيا مع هذه الخطة، أصدرت جبهة التحرير الوطني، أول نداء لها للشعب الجزائري مساء يوم 31 أكتوبر عام 1954م. وزعته صباح أول نوفمبر، حددت فيه أهداف الثورة ومبادئها ووسائلها، وحددت فيه بدقة غايتها من الثورة، التي تتجسم في تحقيق الحرية والإستقلال.

وقد أيقنت جبهة التحرير الوطني، أن كل الوسائل السلمية المستعملة، والنضال السياسي الطويل، الذي خاضه الشعب الجزائري من أجل بلوغ مطالبه، كان دون جدوى، وبأن الوقت قد حان لتجنيد الشعب في الكفاح التحريري للمطالبة بحقوقه الشرعية، والمتمثلة في إقامة دولة جزائرية مستقلة، من أجل هذا، وبالإعتماد على الشعور بالهوية الجماعية، ودعامتها الأولى الإسلام، والذاكرة الأليمة التي تركها الإستعمار، دعت جبهة التحرير الوطني كل الجزائريين من كل الشرائح الإجتماعية، ومن كل مناضلي الحركة الوطنية للإندماج في الثورة التحريرية.

أفاق العالم صبيحة يوم الاثنين غرة نوفمبر 1954م على صوت حاولت فرنسا خنقه، غير أن أصداءه، أقوى من كل محاولات التحطيم، لقد كان إيذانا باندلاع الثورة المسلحة، ونظرا لأهمية هذا البيان من الناحية التاريخية، نأتي فيما يلي بمقتطفات منه:

بسم الله الرحمن الرحيم
نداء إلى الشعب الجزائري

أيها الشعب الجزائري.

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية.

أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا ـ نعني الشعب بصفة عامة، والمناضلون بصفة خاصة ـ نُعلمُكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان، هوأن نوضح لكُم الأسْباَبَ العَميقة التي دفعتنا إلى العمل، بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي، ورغبتنا أيضا، هو أن نجنبكم الإلتباس، الذي يمكن أن توقعكم فيه الإمبريالية وعملاؤها الإداريون، وبعض محترفو السياسة الانتهازية.

فنحن، نعتبر قبل كل شيء، أن الحركة الوطنية - بعد مراحل من الكفاح - قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية. فإذا كان هدف أي حركة ثورية - في الواقع – هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية، فإننا نعتبر الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدا حول قضية الاستقلال والعمل، أما في الأوضاع الخارجية، فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية، التي من

بينها قضيتنا، التي تجد سندها الديبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين.

إن المرحلة خطيرة.

أمام هذه الوضعية، التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلا، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين، التي جمعت حولها أغلب العناصر، التي لا تزال سليمة ومصممة، أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق، الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص، والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين.

وبهذا الصدد، فإننا نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة، إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية، فوق كل الاعتبارات التافهة والمغلوطة لقضية الأشخاص والسمعة، ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هوالعدوالوحيد الأعمى، الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية أن يمنح أدنى حرية.

إن جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد وهما: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أوفي ميدان العمل المحض، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين.

أيها الجزائري، إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة، وواجبك هوأن تنضم لإنقاذ بلدنا والعمل على أن نسترجع له حريته، إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، وانتصارها هوانتصارك، أما نحن العازمون على مواصلة الكفاح، الواثقون من مشاعرك المناهضة للإمبريالية، فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك).

فاتح نوفمبر 1954م

الأمانة العامة

إن بيان أول نوفمبر التاريخي لدليل حقا على مدى عبقرية صانعي الثورة، الذين وبالرغم من أنهم لم يكونوا خريجي الكليات الحربية الكبرى الإستراتيجية، عرفوا بتجاربهم الميدانية، وتقديراتهم الصائبة الوضع الدولي، بأن الوقت قد حان للشعب الجزائري، لكي يواجه مصيره التاريخي، والتجنيد من أجل الثورة، وسيذكر التاريخ تلك التضحيات الجسام التي قدمها أولئك الرجال والنساء، الذي وهبوا أعز ما يملكون فداء لتحرير واستقلال الوطن.

فاتحة النار
فاتحة النار

دقت ساعة الثورة في هذه الليلة من غرة نوفمبر 1954م في كامل أرجاء الوطن، معلنة للعالم أجمع، بأن عهد الاستعمار في الجزائر قد مضى وانقضى، وسمع العالم بصوت الثورة الجزائرية، صوت الشعب الجزائري، في الساعة (صفر) من اليوم الواحد الموافق للشهر الحادي عشر من عام أربعة وخمسين وتسعمائة وألف.

وتناقلت وكالات الأنباء، وقائع تلك الليلة الغراء، مع التعاليق المختلفة على زمن وقوعها ونوعيتها وأهميتها، مؤكدة أنها بداية لعمليات واسعة، محكمة التنظيم، قوية المفعول، وما إن حل مساء هذا اليوم التاريخي، حتى كانت اذاعات المعمورة، وفي مقدمتها إذاعة صوت العرب من القاهرة، بصوت المذيع: أحمد سعيد، يعلن بقوة، قوة الحق، اندلاع الثورة الجزائرية[1]، وسمع العالم لأول مرة نشيد الأحرار الجزائريين، يدوي ليردد:

مـــن جبالنـــا طلـــع صـــوت　　　الأحـــرار ينادينـــا للاســـتقلال

ويقوم وفد الجزائر في القاهرة، بقراءة أول تعليق له بعنوان (الثورة تنفجر في الجزائر)، ويعلن أن الثورة عارمة لا مرد لها من قبل الإستعمار

---

(1)- أنظر: الدكتور محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث قسنطينة، 1984، ص 117 - 148 أيضا: العماد مصطفى طلاس، المقدم بسام العسيلي، الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 39 - 42.

الفرنسي، ويوالي نداءات الثورة التي كانت صواعق على الأعداء، والإذاعات العربية وإذاعات أجنبية، قطعت برامجها لتبث خبر اندلاع الثورة في الجزائر، وسخرت كل إمكاناتها للنبإ العظيم، ولم تكن وسائل التشويش المجندة من طرف فرنسا وأعوانها قادرة على التأثير، أواخفاء هذه الأصوات المعبرة عن ضمير الإنسانية الحقة، وعن بداية انجلاء ليل الاستعمار الطويل.

في غسق الليل، قبل بزوغ ضياء نوفمبر الأول، إنتقلت القيادة من مقرها الأول في (تافرنت) بجبل الظهري إلى جبل اللوح، المطل على خنقة (تاغيت) بني بوسليمان من الناحية الشرقية، وبعدها إلى قرية عكريش والهارة وبوستة.

وهنا كانت الطائرات تصب حمم حقدها وجام غضبها، فدمرت القرى وشردت السكان ولاحقتهم بعساكرها التي ارتكبت أبشع المجازر في كل من صادفتهم، وهنا نذكر، والحالة مروعة لكثرة الشهداء والجرحى، ما حدث: ألقي القبض على أم هاني بوستة وزوجها أثناء هجوم العساكر على منطقة الهارة، فتعرضا للذبح، ورأت زوجها يستشهد أمامها، إلا أنها نجت بأعجوبة، وقد عثر عليها المجاهدون وحملوها إلى مستشفى جيش التحرير الوطني بعمق غابة كيمل[1]، حيث

(1)- غابة كيمل: منذ اندلاع الثورة التحريرية، كانت منطقة محررة لجيش التحرير الوطني، ومحرمة على الجيش الاستعماري الفرنسي.

عولجت لمدة أربعين يوما من قبل الطبيبين سي محفوظ سليمان ومحمود عثامنة (أطال الله عمره)[1].

في هذه الأثناء، كان القائد مصطفى بن بولعيد يتابع تنفيذ العمليات الحربية أولا بأول، فالتقى وأعضاء القيادة بأفواج المجاهدين (الرعيل الأول للثورة التحريرية) في سري الحمام، شرق تاجموت وفي الدرمون وفي جبل برقة، وبعد تفقده لمرابط جيش التحرير الوطني، عاد القائد إلى سري الحمام وعمل على توزيع المجاهدين في أفواج وفرق لمواجهة الوضع الخطير، الذي ينبئ بأن الجيش الفرنسي سيرتكب جرائم بحق السكان.

بعدها، تمركزت القيادة في سغيدة بغسيرة، إلا أن قوات العدوهاجمت الموقع، وبعد معركة خاطفة، انسحب مصطفى بن بولعيد إلى غابة مزبال، وعجول عاجل إلى عين تاوليليت بسفح جبل الأشعث بكيمل.

كان على قادة الثورة، مواجهة هذا الموقف الصعب، المترتب عن دفع فرنسا بكل ثقلها العسكري والسياسي لمواجهة ومحاربة جبهة وجيش التحرير الوطني، ومتابعة المجاهدين حيث أوار الثورة، وتمت عدة لقاءات مع القيادة، من أهمها لقاء يوم 20 نوفمبر 1954م بمنطقة مشونش، ثم اجتماع بمنطقة (لحدور) بين إينوغيسن وشليا، حضره

(1)- أم هاني بوستة: كُتبت على أنها استشهدت نتيجة إصابتها، لكنها لازلت حية ترزق إلى يومنا هذا (أطال الله عمرها) أنظر: بارور سليمان، حياة البطل الشهيد مصطفى بن بولعيد، شركة الشهاب، باتنة، الجزائر، 1988، ص 58.

مسؤولو الناحية الغربية والشمالية، وهم: مصطفى بن بولعيد، مصطفى بوستة، عجول عاجل، مدور عزوي، عباس لغرور، عبد الوهاب عثماني، مسعود عايسي، عمار معاش، علي بوستة، صالح بن ناجي وممثل الطاهر غمراس (النويشي) وتمت دراسة الحالة العسكرية والسياسية، وما أنجزته الثورة من أعمال حربية، بعد ثلاثين يوما من الكفاح المسلح.

جرت خلال شهر نوفمبر الأول، معارك مشهودة، منها: معركة خنقة معاش، وقعت في اليوم الثامن من نوفمبر 1954م بقيادة البطل ناجي نجاوي، وقد شارك فيها عدة أفواج من جيش التحرير الوطني: فوج عباس لغرور، فوج محمد الشريف بن عكشة، فوج محمد نجاوي، فوج محمد مزوجي، فوج محمد الطاهر عبيدي (الحاج لخضر)، فوج الطاهر غمراس (النويشي) والمجاهد الصادق شبشوب (قوزير).

أقدمت قوات كبيرة مخترقة الجبال الوعرة للوصول إلى خنقة معاش، التي تموقع فيها المجاهدون، وكلهم عزم وإصرار على المواجهة الحتمية، فكان صمودهم في المعركة بكل شجاعة ملحقين بالعساكر المهاجمة خسائر فادحة تفوق مائة وخمسين بين قتيل وجريح، كما أسقطوا طائرة كشافة (piper) وكان الانتصار حليف المجاهدين وقد استشهد اثنى عشر مجاهدا[1]، وأصيب قائد المعركة، إصابة بليغة بعينه اليمنى - حدثني عن

(1)- لمزيد من التفاصيل، أنظر: الرائد عمار ملاح، قادة جيش التحرير الوطني، الجزء الأول، الولاية الأولى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2008، ص177.

المعركة في عين المكان- وقد شارك فيها المجاهدون الأبطال: مسعود معاش، أحمد مدور، علي بلقوشي، سليمان زايدي، عمار معاش، محمد بشير رداح وآخرون.

ومعركة (أنزة) أحمد بالقرب من ثنية الرصاص بوادي عبدي في يوم 29 نوفمبر 1954م التي جعلتها فرنسا نصرا كبيرا[1] بقتلها البطل بلقاسم قرين ومن معه من المجاهدين الأبطال وهم: مختار طيوح، مختار بن ترسية، علي عزوي، عمر يحياوي، علي بن شايبة، السعيد العايب، علي بن عوانة، محمد بن كاوحة، لخضر بوعبيدي، السعيد مرغمي، محمد أوراغ وعبد القادر مناعي[2]، واعتبرت هذه المواجهة انعطافا حاسما للثورة التحريرية بالأوراس.

مباشرة بعد انطلاقة شرارة الثورة، قام الجيش الفرنسي بهجوم عام وكاسح على مناطق الثورة بالأوراس، لكن المجاهدين استبسلوا في الثبات والصمود في المعارك الأولى، التي تكبد فيها الجيش الاستعماري خسائر فادحة، جعلته يعيد تقديره لقوة المجاهدين، وقام الجيش المدجج بأحدث الأسلحة الفتاكة بأبشع المجازر وترحيل سكان إشمول والهارة وكيمل ويابوس، حيث تم تهجيرهم بالجملة، ففي

(1)- La dépèche, n 16 . 136 Mardi , Novembre, 1954.

(2)- حدثنا، أحد الذين شاهدوا نهاية المعركة، بأن الجبل أضحى كتلة ملتهبة، لما صب عليه من غازات محرقة، من قبل طائرات ذات القنبلة الرهيبة، فكانت نهاية المجاهدين، أن استشهدوا عن آخرهم.

قرية (سرى الحمام- كيمل)[1] كان المجاهدون يتوافدون على القرية جهارا، ويتدربون على أسلحتهم نهارا، وحدث أن عقد القائد مصطفى بن بولعيد اجتماعا فيها، وعلمت الأجهزة الاستعمارية بذلك، وحاولت إرسال عساكرها صوب القرية، لكن هيهات، فأبناؤها التحقوا جميعا بالثورة، ولهم من السلاح المتنوع ما يمكنهم من التصدي لأي هجوم غادر.

حاولت قوات الجيش الفرنسي التقدم وفي كل مرة تتراجع، وعرفت أن المجاهدين وأبناء قرية (سرى الحمام) مسلحين ومهرة في القتال، يصعب منازلتهم في الميدان، وعرفت أن النساء والأطفال فقط من بقي في القرية، وهنا تقدمت بقوة كبيرة من الجنوب، استطاعت الوصول إلى مشارف القرية بعد مقاومة ضارية، دخلوها بقوة غاشمة مدربة على أعمال القتل والتدمير، وأرغموا السكان على ترك دورهم بشكل جماعي في جو بارد ومثلج، عبر الجبال العالية، والأودية السحيقة إلى محتشد (الموت البطئ) بمنطقة تاجموت، حيث تعرضوا إلى أبشع أنواع التنكيل، وأقسى وسائل التعذيب وإلى الخوف والفزع والجوع ومختلف الأمراض الفتاكة، التي أتت على أكثر من خمسة وسبعين طفلا في مدة أربعين يوما.

---

(1)- لمزيد من التفاصيل، أنظر، السعيد غسكيل، كيمل والتاريخ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر 2010م، ص 140 - 343.

في الوقت نفسه وخلال يومي 16-17 نوفمبر 1954م قامت الطائرات بقصف القرية بقنابلها المختلفة الأنواع والأوزان، لتحيلها إلى دمار شامل، وخراب تام، لا زالت أثاره بادية للعيان إلى يومنا هذا... وتعرضت حرائر الأوراس، لمختلف الصدمات النفسية، والحالات الهستيرية التي يصعب الإحاطة بفضاعتها ووصفها في هذه السطور، التي نكتبها بأذن سمعت وعين رأت، ممن عايش الأحداث كما هي.

وتكالب الجيش الفرنسي على سكان الأوراس، بعد أن كال له المجاهدون ضربات موجعة، حدث في يوم 19 نوفمبر 1954م أن وقعت معركة (عكريش- زلاطو) وأصيب المهاجمون بخسائر أفقدتهم صوابهم، مما حدا بهم إلى الإنتقام، ولم يجدوا أمامهم إلا قرية (حنبلة) التي التحق كل رجالها بالثورة، ولم يبق فيها إلا النساء والأطفال، لكن أنّى لهم أن يدنوا أويقتربوا، فقد برزت لهم أربع نساء حاملات الفؤوس والعصي، فكانت المنازلة، وما هي إلا ضربات وطعنات، حتى سقط المهاجم الأول، وهو برتبة ملازم أول، ولحقه الثاني، بعد إصابته بضربة فلقت هامته، إلا أن قائدهم أصدر أمره بإطلاق الرصاص عليهن، فسقطن شهيدات وهن: فاطمة جغروري، جمعة بوستة، فاطمة بالرحايل، منصورة بوسته أم لثلاثة مجاهدين، وقفت بعين المكان وقد سمعت واستحضرت حلقات المنازلة.

وفي قرية (تيفلفال-غسيرة)[1] أقامت فرنسا سجنا رهيبا خُصص للنساء في الأوراس: زوجات وأمهات وبنات وأخوات المجاهدين، وكانت لنا وقفة على زنزاناته ودهاليزه، التي تبعث بالنفوس قشعريرة مرجفة باردة، وتذكّر بنوع الرعب، الذي كان يسلَّط على حرائرنا، وقد إلتقيت بمواطن ولد في السجن، أذكره، عبد الحميد عماري (المحابسي) نسبة إلى الحبس، أي السجن، وقد وُلد في يوم 16 مارس 1960م ونذكر بعض النساء، اللواتي قضين مدة في السجن، حيث تعرضن لعذاب لا يمكن وصفه هنا، وهنَّ: علجية خذري، فطيمة صايغي، الشيخة هدية، فطيمة زغدودي، أم السعد بن رحمون، فاطمة برسولي، جمعة ميموني، فاطمة بن زروال، جمعة سليماني، محجوبة وزاني، حدة مفتاح، فطيمة بلعايش، العطرة يخلف وزوجة وأبناء المجاهد علي بلحاج بن جديدي، الذين استشهدوا عن آخرهم في السجن.

أدركت الإدارة الفرنسية، حماس الشعب واحتضانه للثورة، وعليه، فقد قام جنرالاتها بحملات واسعة (لسحق) الثورة واشتركت في هذه العمليات عشرات الآلاف من قواتها الشرسة، تعززهم الطائرات والمدفعية، واعتقلت آلاف الأبرياء من المدنيين، وزجت بهم في معتقلات ومحتشدات التي أقاموها في العراء، ليظهر بذلك ضباط فرنسا شجاعتهم

---

(1)- لمزيد من التفاصيل، أنظر عمر تابليت، دور غسيرة في ثورة التحرير (1945_1962م) مطبعة المعارف، عنابـة، الجزائر 2008م ص 143 ومابعدها.

التي فقدوها في الميدان، ولتنطلق كل الفرق المسلحة وتتعاون في إطلاق النار على العزل بدون تمييز ليسقط الشهداء والجرحى[1] ثم تبدأ عمليات التفتيش، والاعتقالات الجماعية من قبل أعوان وجهاز المخابرات المدنية والعسكرية السرية، ومكاتب الشؤون الأهلية، التي لا تتورع في استخدام أقسى أنماط الأساليب النفسية والجسمية[2] التي تجعل السجين مفصولا عن إنسانيته مندمجا في فصيلة، لا تمت بصلة بكل ما يجعله بشرا من جراء ما يصيب على مسمعه من أقوال احتقار وبذاءة، وما يتعرض له من عقوبات حمقاء.

(1)- جرحى المجاهدين، مصيرهم الإعدام بدون إمهال، أما المدنيين فتتضاعف إصاباتهم نتيجة التعذيب، والكثير يلقون حتفهم.

(2)- حدث أن قدم شيخ من الجبل إلى ابنه، وعندما حان آذان المغرب، خرج من البيت لتأدية الصلاة، أثناءها كان العلم الفرنسي ينزل من الثكنة العسكرية المقابلة، ويعني الوقوف الإجباري للجميع، إلا أن الشيخ استمر في تأدية الفريضة، فما كان من حارس الثكنة، إلا أن أطلق عليه النار من مدفعه الرشاش، لأنه لم يتوقف، أويستعد.

المواجهة والتحدي
المواجهة والتحدي

انفجرت الثورة، وأدخلت الرعب الشديد، والفزع الكبير في قلوب الفرنسيين وعملائهم، وفقدت حكومة باريس رشدها، وصارت تحسب للثورة ألف ألف حساب، نتيجة حجم المفاجأة، التي لم تكن متوقعة، لقد أصيبوا بصدمة عنيفة، لم يتحملوا وقعها، ولم يحاولوا أبدا، فهم الداعي لهذا الانفجار الهائل، ولم يفكروا إلا في استعمال القوة الغاشمة، وإرسال المزيد من قوات الفتك، ووسائل التدمير.

مباشرة في الثالث من نوفمبر 1954م صرّح (روجي ليونار- Roger Leonard) الحاكم العام للجزائر في ندوة صحفية: إنه لن يدخر أي جهد من أجل حماية مصالح فرنسا والفرنسيين بالجزائر، وتم تعيين (مانداس فرانس –Mendes France) رئيس الحكومة الفرنسية، كرد فعل على اندلاع الثورة التحريرية، وصرّح (شاريير- Cherriere) القائد العام للقوات المسلحة في الجزائر بما يلي: إن الأوراس، يوشك أن يصبح مركزا أساسيا لحركة التمرد (يقصد الثورة التحريرية) لذلك أضحت عملية تطهيره ضرورة حتمية.

وأخذ سلاح الطيران، يلقي على سكان جبال الأوراس، مناشير يدعو فيها إلى التخلي عن الثوار، إلا أن الثورة أفرخت تحت دمدمة القنابل، ولعلعة الرصاص، المصوب من المجاهدين، الذين سيفهمون فرنسا بأنهم قاموا بثورة منضبطة، وليست تمردا فوضويا، كما ورد على

لسان، رئيس الحكومة الفرنسية (بيير منديس فرانس) في البرلمان الفرنسي، إذ قال: "لن نرحم المتمردين، ولن يكون هناك تساهل، ولا يمكن أن نتساهل، عندما تكون وحدة الجمهورية، والسلم الداخلي للأمة، معرض للخطر" كما عبر وزير الداخلية الفرنسية (فرنسوا ميتران–François Miterand) عن الموقف الفرنسي الرسمي والصريح من الثورة الجزائرية بمقولته: "إن الكلمة الوحيدة بالجزائر، هي الحرب" وقال: أمام لجنة الشؤون الداخلية في البرلمان الفرنسي: "جميع الذين يساندون مطالب وطنية في الجزائر، هم أعداء، وعلينا أن نشن عليهم الحرب".

في اليوم الذي أدلى فيه (ميتران) بالتصريحات السالفة، صدر أمر يخوّل الجيش الفرنسي حق الاستيلاء قصرا على حاجاته في أنحاء الجزائر كافة، ثم إرسال قوات من الحلف الأطلسي[1] للجزائر.

إن مجريات الأحداث، لم تكن كما خطط لها ساسة وقادة فرنسا، بل وجدنا العمليات الأولى التي نفدها المجاهدون أحدثت الارتباك لدى السلطة الإستعمارية، التي تتابع الوضع العسكري بكثير من القلق والخوف، وقد ازدادت الثورة التهابا، وتركزت هجمات

(1)- الحلف الأطلسي (Nato): منظمة عسكرية، أنشئت بمقتضى معاهدة تعرف بإسم ميثاق شمال الأطلسي، وووقع على هذ ا الميثاق في عام 1949م: الولايات المتحدة الأمريكية، بلجيكا، كندا، الدنمارك، فرنسا، إسلندا، إيطاليا، لوكسمبورغ، هولندا، النرويج، البرتغال وبريطانيا، ثم انضمت إليه اليونان وتركيا وألمانيا الغربية (سابقا) ومن المبادئ الرئيسية لهذا الحلف: أن إعتبار الهجوم المسلح على أي منها هو هجوم عليها جميعا، وقد قامت جيوش الحلف الأطلسي بتدعيم الجيش الفرنسي رسميا لمواجهة الثورة الجزائرية في يوم 26 مارس 1955م

المجاهدين على مراكز الجيش الفرنسي، وفشلت حملات القمع والإبادة، التي أشرف عليها الحاكم العام للجزائر (روجي ليونارد) الذي أعلن في لقائه بباتنة[1] مع السلطة المحلية، بأن تصفية المنطقة، والقضاء النهائي على التمرد يتطلبان شهورا عديدة بسبب ما نجده في المحيط من صعوبات، وصرح، أن عدد الثائرين في الأوراس، يقدّر بألف رجل، وأن الإمدادات اللازمة لإقرار الأمن والسكينة، تحتاج إلى أربعين ألف عسكري.

وتوالت انتصارات الثورة، وعجزت كل أساليب العدوان في التأثير عليها، وأن هجمات جيش التحرير الوطني، لم تترك عساكر فرنسا، يسترجعون أنفاسهم، فسارعوا بطلب إمدادات وتجهيزات عسكرية إضافية للقضاء على الثورة في الأوراس، فقامت قوات تعد بعشرات الآلاف ضمن عمليات (فيوليت– violet) و(فيرونيك- Veronique)[2] اشتركت فيها المدرعات والدبابات والطائرات ذات القنبلة الرهيبة، وطائرات الإنزال الضخمة (بنان) مستهدفة سكان القرى والمداشر وتدميرها بما فيها من بشر وشجر وحجر وحيوانات ومزارع وكل شيء طالته أياديهم ووصلته أرجلهم، إذ شرع في يوم 23 جانفي 1955م بقيادة الكولونيل (ميي – Méyet) في تنفيذ عمليات (فيوليت وفيرونيك) التي تهدف إلى تمشيط منطقتي الأوراس والشمال القسنطيني للقضاء على الثورة بهما.

---

(1)- وقع هذا الاجتماع يوم 21 جانفي 1955 بمقر نيابة العمالة في باتنة، مقر منظمة المجاهدين حاليا.

(2)- في 23 جانفي 1955 شرع في تنفيذ العمليتين الرهيبتين، وحددت أهدافهما بتمشيط الأوراس من أجل القضاء النهائي على (بقايا) الثورة، وقد أشرف عليها ضباط لهم خبرة واسعة في ممارسة حرب العصابات، وخوض معارك الجبال، أمثال الجنرالين، جيل وبارلانج والعقيدين: ديكورنو وبيجار.

الأوراس الصامد

في يوم 25 جانفي 1955م عيّنت الحكومة الفرنسية (جاك سوستال – Jacques Soustelle) حاكما عاما للجزائر، وقد سانده المعمرون، وزوَّدهم بالأسلحة للدفاع عن أنفسهم في حالة مهاجمة الثائرين عليهم، وشرع في تنفيذ ما من أجله عُيّن، فبعد أربعة أيام من وصوله إلى الجزائر، قام بجولات ميدانية للمناطق التي تستمر فيها الثورة، وصرح عند قدومه الأوراس بقوله: إن هذه المنطقة، تشهد تزايدا ملحوظا في عدد السكان، والأرض لا تكفي، لذا نرى في هذه المنطقة حركة إرهابية، ويجب كسب الثقة بتطبيق إجراءات إصلاحية (إدارية واقتصادية واجتماعية)[1] وأصدر أوامره الصارمة بالقضاء على الثورة بأي وسيلة وثمن.

لاقت الثورة صعوبات جمة بعد تحقيق أهدافها الأولى، وأصبحت المؤامرات والدسائس، تحاك وتنفذ جهارا نهارا على الثورة وأبطالها، ومما زاد الحالة وهْنا، إستشهاد وإعتقال عدد من قادة الثورة وزعمائها: إستشهاد قائد المنطقة[2] الثانية، مراد ديدوش يوم 18 جانفي 1955م. خلال معركة بوكركر قرب سمندو (زيغود يوسف حاليا) وأسر قائد المنطقة الأولى، مصطفى بن بولعيد في يوم 12 فيفري 1955م في الحدود

(1)- ارتفعت أصوات بعض السياسيين في الحكومة الفرنسية، تدعو إلى القيام ببعض الإصلاحات بعد إخماد الثورة في زعمهم.

(2)- المنطقة: كان المصطلح المتفق عليه في بداية الثورة، وأصبح بعد مؤتمر الصومام 1956 يعرف بالولاية.

التونسية-الليبية، وإلقاء القبض على قائد المنطقة الرابعة رابح بيطاط يوم 23 مارس 1955م بالجزائر.

عاد الحاكم العام في (20 ماي 1955) إلى الأوراس برفقة ممثلين من وزارة الدفاع والداخلية للإشراف وتولى تسيير العمليات العسكرية في المنطقة بقيادة الجنرال (شاريير- Charrière) القائد العام للقوات الفرنسية في الجزائر والجنرال (بارلانج- Barlang) القائد العسكري والمدني في الأوراس، ومقره باتنة والعقيد (دوكورنو- Djelkorno) وعليه، فقد عززت فرنسا قواتها في الأوراس والمتواجدة في بوابة الصحراء بسكرة بفرقتين يعتمد عليها في البطش والتدمير، وهي فرقة اللفيف الأجنبي وفرقة الطابور المغربي[1] التي استقرت في مشونش، وقامت الإدارة الفرنسية بأول تجربة عسكرية في الحرب النفسية للتأثير على معنويات السكان، وذلك بإنشاء مكاتب ضباط الشؤون الأهلية (S.A.S.)[2] وأُنيطت المهمة للجنرال (بارلانج) وقد خوله رئيس الجمهورية جميع الصلاحيات، التي تمكنه من إخماد أوار الثورة بكل

(1)- أرى أن أوضح أن فرنسا أحضرت عشر طوابير من الجيش المغربي، وكل طابور يعتبر فيلقا، لزجهم في قمع الشعب والقضاء على الثورة، ووزعتهم على المناطق: آريس، باتنة، خنشلة، وبسكرة، وفي صيف 1956، رفضوا جماعيا المشاركة في الحرب، وأمر الجنرال (بارلانج) سحب السلاح منهم، فرفضوا تسليم أسلحتهم وطلبوا العودة إلى المغرب، وفعلا ركبوا القطارات، ولما وصلوا إلى سيدي بلعباس، حاصرتهم قوات اللفيف الأجنبي لتجريدهم من أسلحتهم، ووقعت بين الطرفين مشادات عنيفة، ولم يسلّموا أسلحتهم، وعادوا إلى المغرب، وقد التحق بعضهم بصفوف جيش التحرير الوطني، بناحية خنشلة وآريس.

(2)- ضباط الشؤون الأهلية: هيئة متخصصة في الحرب النفسية والدعائية، والتي كانت غايتها العمل على عزل الثورة عن الشعب وتقويض دعائمها، وتكوّنت في 19 سبتمبر 1955.

الوسائل وشتى الأساليب، ووضعت تحت تصرفه قوات متكونة من خليط متعدد الوظائف والمهام والمسؤوليات ففيها: العسكري، الشرطي، الدركي، الحرس، الوحدات الإقليمية للمعمرين[1] الحركى، العملاء أعوان مصالح الجوسسة، المخابرات بأنواعها، اليد الحمراء[2]، فرق القمع والإبادة ومجموعات حرب الأعصاب النفسية في المحتشدات والمعتقلات والسجون[3]، ولتضييق الخناق على الثورة ومحاصرة المجاهدين، قامت فرنسا بترحيل سكان يابوس وكيمل و إيشمول وجبل الهارة، مما أثر على المجاهدين من ناحية التموين.

(1)- بعد اندلاع الثورة، أصبحت ضيع المعمرين مراكز للتعذيب، لأن ساكنيها كانوا من غلاة المجرمين، وقد أشرفوا على عمليات التقتيل.

(2)- اليد الحمراء: هي قوة مسلحة، غير مراقبة من البوليس والجيش الفرنسي، وتجد كل الدعم المعنوي والمادي من قبل السلطة الفرنسية.

(3)- لمزيد من المعلومات عن المحتشد والمعتقل والسجن، أنظر محمد الطاهر عزوي ذكريات المعتقلين، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1996، ص 89 وما يليها.

التعليمات السرية

التعليمات السرية

منذ تأسيس المكتب الثاني ومكاتب الشؤون الأهلية (s.a.s) ركزّت أجهزة هذه المكاتب، نشاطاتها للتأثير على معنويات المساجين في المعتقلات والمحتشدات، وكانت عمليات غسيل الدماغ من الأعمال التي يباشرها الجلادون أعمالهم، والتي يمارس فيها تجار الموت، آخر ما توصل إليه (علماء الإجرام) من درجات التفنن في أنواع التعذيب والإرهاب.

ويحدث أن تجري عملية غسيل الدماغ بشكل مكثف، ولمدة قد تقصر أوتطول، وقد أدت عمليات التعذيب، المرافقة لعمليات غسيل الأدمغة، إلى انتزاع البراءة من البعض، كما أدت إلى إصابة الكثيرين بالأمراض والكسور المضاعفة، نتيجة وسائل التعذيب الرهيبة، التي لا يمكن وصفها، لأنه لا يمكن أن تصدر من آدمي له عقل يفكر، وقلب تقطنه الرحمة.

وهناك تعليمات سرية في هذه المكاتب وهامة جدا، يزود بها الفرنسيون في مكاتب التعذيب النفسي والجسمي، وهي أوامر صارمة، والخروج عنها، معناه الوقوع بين مخالب المحاكم العسكرية، التي لا ترحم إلا بالرصاص، وهذه التعليمات، يجب أن تنفذ على جميع الجزائريين بدون استثناء، لأنه يجب، أن يدركوا، بأنهم أنقص عقلا، وأقل شأنا من الفرنسي الأوربي، وأن يعلموا بأن الفرنسي، الذي

ينحدر أصله من شمال افريقيا (الجزائر) يتصف بالصفات التالية (في نظر الفرنسي):

من الناحية العاطفية: اندفاعي– متطرف في كل شيء، ردود فعله حادة ومفاجئة، يمتلك متناقضات كبيرة في الشخصية (شجاعة، فوضى، حيوية، خمول).

عفوي ولا شعوري: أي أن أي عاطفة أورغبة جديدة تحتل نفسه، تقضي على كل شيء ما عداها.

جماعي: تحتل الصفة الجماعية في عمله وتصرفاته، أهمية أكبر من الصفة الفردية.

لا عقلاني: قادر على التفكير، ولكنه لا يعطيه أية قيمة، لا يبحث عن معرفة سبب الشيء، وماهيته، ولا يفسر مثلنا العلاقات السببية، ومن ثم جاء تواكله على الأقدار، وهويدخل دائما العناصر الغيبية في نظرته إلى تكوين الكون ومسيره.

سريع التصديق: لا يبحث عن تفسير الأشياء، وهوينتظر أن تأتيه الحقيقة من الخارج كيفما كانت (دينية أوسياسية) وهويقبلها أويرفضها بالجملة، ودون مناقشة (فمثلا ما يتناقله العرب من شائعات رائجة، حيث يصدقون كل شيء بدون نقد).

معلومات نسبية عن الوسط البشري: يجب الإلحاح على الاتجاه الطبيعي لدى الفرنسي باعتبار العقلية المسلمة في درجة أدنى من عقليتنا، وهذا

ناتج عن معرفتنا السطحية للفرنسيين المسلمين، التي تؤدي إلى أخطاء فادحة في تقدير الأمور، ويجب كذلك التأكيد على خطورة هذا الخطأ الفادح، فالمسلمون الفرنسيون ليسوا بدائيين، لأن لديهم دياناتهم ومبادءهم الأخلاقية، وحضارتهم المختلفة من حضارتنا، ويجب إذن، بذل جهد كبير لفهمهم.

وعن طريق الأسئلة الخاصة، يجب أن نذكر الجنود الجدد بالخصائص الرئيسية لعقلية الفرنسيين المسلمين، وبالنسبة لكل صفة خاصة، يجب أن نستخلص النتائج الناجمة عنها.

الصفات الرئيسية: إنه يحب العدل، ويعتبر دائما أنه مظلوم، وإذن: يجب العدل معه، وتحطيم كل شعور يصنفه بأنه فرنسي من الدرجة الثانية، ويجب تفادي أي تمييز يمكن أن يشعره بأنه ضحية لاعتبارات عنصرية.

حبه للربح: إذن، يجب التصرف معه، بحيث لا يستطيع أن يقدم أية طلبات.

إحساسه بالكرامة والمهابة: إذن يجب السلوك معه بما يناسب الكرامة. وهوفخور وأحيانا متعال، إذن، إجادة تقديره وشكره، دون إظهار روح الدعابة المتشبعة بالتفوق، ويجب عدم التعرض لعادته الخاصة.

تشككه: لا يحتمل السخرية، ويعتبرها شتيمة، إذن، يجب تفادي الهزل، واستعمل الكلمات البسيطة التي يفهمها (فإن كلمة غير مفهومة، يمكن أن تجرح عواطفه واعتزازه بشخصيته).

غريزته الدينية: إذن، يجب احترام عواطفه الدينية، إيمانه بالقوى الغيبية، إذن، لا تبحث عن فهم تصرفاته على أساس عقلاني بحت.

ذاكرته خارقة للعادة: وهي تقلل من قدرته على التفكير، وتحدد أفق خياله، إذن، يجب تفادي ما يمكن أن يعده مساسا بشخصيته، وتغذي حقده.

شعور بقوة السلطة: إذن، يجب إظهار السلطة الحقيقية القائمة على العدالة، ويجب تفادي التصرفات التي تدل على الألفة التامة [1]

إن الفقرات السابقة، مقتبسة من نصوص التكوين المدني والمعنوي للجيش الفرنسي، المستعمل في تدريب ضباط الشؤون الأهلية (S.A.S)، وقد نشرت من طرف مكاتب الدفاع الوطني، المكتب الخامس.

(1)- نقلا عن مجلة المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، العدد 36،6 جانفي 1959، ص 8.

العبور والأسر

بعد منتصف جانفي 1955م إلتحقت أفواج من المجاهدين بعين تاوليليت سفح جبل الأشعث بكيمل، وهناك اكتمل الجمع، وحضر أغلب جنود الجهة وأعضاء القيادة التي تتكون من: مصطفى بن بولعيد، عجول عاجل، بشير شيحاني، مدور عزوي، مصطفى بوستة، عباس لغرور، محمد الصغير تيغزة، عبد الوهاب عثماني، عمار معاش، علي بوستة، الصالح بن ناجي ممثل الطاهر غمراس (النويشي) وفي هذا اللقاء كان عرض حالة الثورة وتقييم عملياتها المسلحة وأعمالها الحربية السياسية خلال شهرين ونصف، وتقرر ما يلي:

* إعلان القائد مصطفى بن بولعيد عن ذهابه إلى المشرق العربي لجلب السلاح.

* يُعيّن بشير شيحاني قائدا للثورة في الأوراس نيابة عن قائد الولاية مصطفى بن بولعيد بمساعدة عاجل عجول وعباس لغرور كنائبين له.

* يتكفل مصطفى بوستة وعبد الوهاب عثماني وعاجل عجول وعباس لغرور بتكوين الدورية، التي تتولى حراسة القائد إلى الحدود الشرقية.

ومن غابة كيمل انطلق القائد من موقع ذراع الطير قرب غزران في 24 جانفي 1955م ميمِما صوب الحدود الشرقية بصحبة عمر مستيري، الذي عاد إلى الأوراس بعد نجاح خطة العبور إلى تونس.

في الحدود الليبية – التونسية، تفطن القائد إلى شخص يلاحقه، وأحس أنه يضايقه، ويريد به شرا، فأطلق عليه النار فأرداه قتيلا، وبعد معاناة طويلة من المطاردة، ألقي القبض على القائد مصطفى بن بولعيد يوم 12 فيفري 1955م في منطقة (بن قردان) فتعرض للضرب والتعذيب، وسيق إلى السجن بتونس، وتم استنطاقه ومحاكمته، حكم عليه بالسجن المؤبد، ثم نقل إلى سجن الكدية بقسنطينة، ليحاكم مرة أخرى في محكمة عسكرية، ويحكم على القائد مصطفى بن بولعيد بالإعدام مع سبعة مجاهدين في يوم 22 جوان 1955م وقد أقامت فرنسا أياما من الأفراح، وتم توزيع أطنان من المناشير تحمل صورة القائد مصطفى بن بولعيد، وهو مكبل اليدين بين حارسين من الحرس الجمهوري، تدعو فيها السكان للتعقل والهدوء، وأن فرنسا ستوفر لهم، الشعير والقمح والأمن.

أصيبت الثورة بضربات عنيفة، نتيجة عمليات الإبادة والتدمير وحالات الحصار، وتطبيق حالة الطوارئ، حيث أخذت عمليات المجاهدين، تتقلص شيئا فشيئا، وتكاثرت التساؤلات عن حقيقة مصير الثورة في الأوراس، ونشطت أبواق الدعاية الفرنسية، وإعلامها في الداخل والخارج، تردد بالقضاء على ما أسمتهم بالخارجين عن القانون وقطاع الطرق.

في 03 أفريل، طبق (قانون الطوارئ) – loi d'urgence[1] على منطقة الأوراس لخنق الثورة، التي جعلت النظام العام والوجود الفرنسي بالجزائر في خطر[2] وأحضرت فرقا من المظليين المتخصصين في عمليات الحصار، وحرب الجبال، وتضاعفت القوة العسكرية، وكان هدفها محاصرة الثورة داخليا، وحتى لا تتصل بالخارج، وإحكام منافذ الحدود الليبية-التونسية والمغربية في وجه تزويد الثورة بالعتاد الحربي وتضاعفت الحملات العسكرية الكبرى والاعتقالات الجماعية، والزج بالمواطنين في المحتشدات الرهيبة بالجملة، فكانت القوات الفرنسية التي تواجدت في الأوراس في فترة خمسة أشهر[3] تعادل سكان الأوراس تقريبا، بل أكثر، إذا قابلنا الرجال بالرجال؟

(1)- في يوم 28 أفريل 1955م مددت السلطات الفرنسية إجراءات الطوارئ المعلنة بالجزائر لتتوسع إلى جهات بسكرة والوادي.

(2)- في 18 أفريل 1955م كان انعقاد مؤتمر (باندونغ) بأندونيسيا، شارك فيه وفد جزائري عن جبهة التحرير الوطني، كعضو ملاحظ، وهنا ثارت ثائرة فرنسا، واعتبرت هذا تدخلا في الشؤون الداخلية، وقد أصدر المؤتمر قرارات تدعو إلى تمكين شعب المغرب العربي من حقه في تقرير المصير.

(3)- ارتفع عدد القوات الفرنسية المقاتلة في الجزائر في يوم 26 فيفري 1955م إلى أضعاف ما كانت عليه عند اندلاع الثورة التحريرية، إذ بلغت في هذا التاريخ حوالي ثمانون ألف وثلاثمائة عسكري، واستمرت الحكومات الفرنسية في تعزيز قوات الجيش في الجزائر ليصبح عدد القوات العاملة في الجزائر حوالي أربعمائة ألف عسكري في أفريل 1956م.

المهام الصعبة
المهام الصعبة

في التاسع من أفريل 1955 م عيّنت السلطات الاستعمارية الفرنسية (مارسيل إدموند نايجلان – Marcelle Edmond Naegelon) على رأس القيادة الموحدة للعمليات العسكرية والمدنية في الأوراس.

كان على قادة الثورة مواجهة هذا الموقف الصعب، المترتب عن دفع فرنسا بكل ثقلها السياسي والعسكري لمواجهة ومحاربة جبهة وجيش التحرير الوطني ومتابعة المجاهدين في الجبال والصحراء وملاحقتهم حيث الثورة.

في أواخر شهر ماي 1955م تم إجتماع قادة (أوراس – النمامشة) بالجبل الأزرق في المكان المسمى (تاغروفت) في الوقت الذي كانت فيه حملة شرسة يقودها الجنرال (جيل) وهي داخلة ضمن مخطط (المنظار – jumelle) الذي وظف لعمليات التمشيط من جبال أولاد نايل بالحضنة إلى جبال بني فرح بالأوراس، حيث دفع بقوة تقدر بخمسة آلاف عسكري، مدججين بأحدث الأسلحة الفتاكة، ومعززين بالمصفحات والدبابات والطائرات المختلفة الأنواع.

على الرغم مما تدفعه فرنسا من آونة لأخرى لتقوي بها عزيمة مقاتليها، فإن ذلك لم يجد في قهر المجاهدين وفي ثني عزائمهم، التي لا تلين بدليل أن صفحات سجل انتصاراتهم، كانت تزداد أوراقه

بمرور الأيام، ومع إشتداد المعارك لتسجيل البطولات الباهرة على قوات العدو وحلفائه وأعوانه.

إنعقد اجتماع أبطال (أوراس – النمامشة) الذي دوخوا جنرالات فرنسا وهم كلهم عزم على مقارعة المعتدين، ونذكرهم: أحمد بن عبد الرزاق حمودة (سي الحواس) عباس لغرور، الطاهر غمراس (النويشي) محمد الطاهر عبيدي (الحاج لخضر) عمر بن بولعيد، المسعود بن عيسى، مدور عزوي، علي بلحاج، المسعود بلعقون، الحسين برحايل، محمد الشريف بن عكشة، محمد بن المسعود بلقاسمي، الصادق جغروري، أحمد نواورة ومحمد بن بولعيد، أحمد قادة، أمحمد حابه (أطال الله عمره) عمار بلعقون (أطال الله عمره) وعليه، قررت القيادة وضع إستراتيجية تنسيق محكمة بين المجاهدين في الأوراس والصحراء، وتم عقد الاجتماع، ووزعت المهام، كما يلي:

– أحمد بن عبد الرزاق حمودة "سي الحواس" بتولى قيادة المنطقة الثالثة بالولاية الأولى:[1]

---

(1)- المنطقة الثالثة، تتكون من النواحي التالية:

الناحية الأولى: مشونش، وتضم أربع قسمات، تمتد من مدينة سيدي عقبة جنوبا إلى القنطرة شمالا، بالإضافة إلى الجهة الشرقية من مدينة بسكرة.

الناحية الثانية: بسكرة، وتضم أربع قسمات، تبدأ من الشارع الرئيسي — حاليا – الأمير عبد القادر والحكيم سعدان، وشرق المدينة إلى مدينة المغير بوادي ريغ جنوبا والى مدينة سيدي خالد غربا، ومدينة مدوكال شمالا.

الناحية الثالثة: بوسعادة، وتضم أربع قسمات.

- عباس لغرور والحسين برحايل، يتوليان قيادة ناحية خنشلة.

- محمد بن المسعود بلقاسمي، مسؤولا عن ناحية مشونش.

- عمار بلعقون وأحمد نواورة، يتوليان قيادة ناحية أريس.

- محمد لخضر عمارة (حمة لخضر) ومبروك مقدم، يتوليان قيادة ناحية منطقة وادي سوف.

- الجيلاني بن عمر، مسؤولا عن المناطق الحدودية الليبية - التونسية.

- لزهر شريط، يتولى مسؤولية منطقة "أم الكماكم" بجبل الجرف.

أحرار الصحراء

إن العمليات الكبيرة، وحملات التمشيط المكثفة واستعمال عتاد الحرب المتطور لفرنسا والحلف الاطلسي، وتسخير آلاف الأجناد من أوروبا، قد شكلت مضايقة لا تطاق، وخناقا شديدا لوحدات جيش التحرير الوطني بالأوراس، وارتأت قيادة الولاية الأولى، والحالة هذه، عقد اجتماع[1] بجبل زاريف بجبل الجرف بقيادة بشير شيحاني يوم 25 جويلية عام 1955م بهدف الاستعداد لعمليات حربية واسعة، تتزامن مع الذكرى الثانية لنفي الملك محمد الخامس[2] ورأت، أن يسبق هجوم الشمال القسنطيني المؤكد، عمليات هجومية في الجنوب، حتى تتفرق الجيوش الفرنسية المتواجدة في الأوراس، وألقى القائد بشير شيحاني كلمة مؤثرة في الحشود المسلحة، حثهم فيها على الثبات، بعدها، طلب من الجموع، الموافقة برفع الأيدي، للتوجه في مهمة هجوم أوت في الجنوب.[3]

(1)- تم الاجتماع في مركز سي الجيلاني بن عمر بـ "أم الكماكم" بالجبل الأبيض (الجرف).

(2)- في 20 أوت 1955م وهي الذكرى الثانية لخلع ونفي ملك المغرب محمد الخامس، أعدّ زعماء المقاومة المغربية الزحف على بعض المدن الداخلية، وعجزت القوات الفرنسية عن السيطرة عن الموقف، واشتركت المرأة المغربية في المواجهة بكل بسالة، وقد نسق زعماء الحركة، خططهم الحربية مع قادة الثورة في الجزائر، الذين شنوا في اليوم نفسه، هجومات عامة في الشمال القسنطيني(السمندو)، اضطرت فرنسا إلى مفاوضة الوطنيين، وإعادة السلطان إلى عرشه باستقلال المغرب في 2 مارس 1956م. وبقي السلطان محمد الخامس على العرش، حتى وافته المنية في يوم 28 جانفي عام 1961م. ليعتلي العرش ابنه الحسن الثاني.

(3)- هجوم الشمال القسنطيني العام في يوم 20 أوت 1955م. نفذ بقيادة زيغود يوسف، وأدى إلى هروب أكثر من مائة وعشرين ألف معمر من منطقة الشمال القسنطيني والمناطق الأخرى إلى فرنسا، وقد استشهد اثنا عشر ألف ومائة وخمسة وتسعون شهيدا وشهيدة، خلال ثلاثة أيام مشهودة وأربع ليال حاسمة.

وهنا، اندفع القائد محمد لخضر عمارة "حمة لخضر" تحت طائلة جذوة الجهاد، رافعا سلاحه أمام الأشهاد، وتسارع الأبطال ليكونوا حلقة حوله، وهم: مقداد جدي، محمد بن عبد الرحمن، عبيد عبيد، فرحات سكيو، العربي سعيدان، أحمد حنفي، سي علاوي مراوي، الهامل قواسمية، العربـي بوغزالة، عبد المالك قريد، الامام فقيري، مبارك بن نصر، بشير شعباني، العيد داودي، العربي بلالة، محمد الساسي، علالة علالة، صالح ريماني، محمد كشحة، مبروك شقور، العربي الاغواطي، عبد المالك السايح، محمد خلفاوي، عبد القادر دب، محمد لعبيدي، العربي العابد، سمار الباي، نوار من خنشلة وبشير بلالة.

برز هؤلاء الأبطال يتقدمهم القائد (حمة لخضر) ومساعدوه عبد المالك قريد، العربي بوغزالة، عبد المالك السايح، العربي الاغواطي وسي علاوة مراوي، وظهروا وكلهم شموخ وإيمان بتحقيق الهدف، الذي من أجله هم ذاهبون، وتم توديعهم بتحية عسكرية من إخوانهم المرابطين في جبل الجرف[1] وتسلم كل واحدة منهم ما يكفيه من الذخيرة والمؤونة.

انطلقوا على بركة الله، بعد صلاة العشاء ليلة 28 جويلية عام 1955م. ووجهتهم منطقة وادي سوف، ومروا على وادي هلال[2] وأثناءها

(1)- سيخوض هؤلاء معركة الجرف من يوم 22 إلى 29 سبتمبر عام 1955م. ويستشهد فيها ما يقارب من مائة وسبعين مجاهدا، ويقتل أكثر من جانب العدو.

(2)- وادي هلال: يقع جنوب مدينة بئر العاتر بخمسة وعشرين كيلومتر.

علموا أن مركز المجاهد، لزهر شريط الجدري، قد حوصر من قبل عساكر العدو، فتوجهوا إليه واستطاعوا فك الحصار بهجوم مباغت.

وفي اليوم الثالث من شهر أوت 1955م قامت الدورية في منطقة "نقرين" بهجوم خاطف على ثكنة العدو، مما أحدث ارتباكا وحالة استنفار في صفوفه، وواصلوا سيرهم إلى بئر "بوطينة" ووادي "الجرادنية" وحلوا بمركز المجاهد الحسين ب "المقرن" حيث انضم إليهم المجاهدون: الطاهر يحياوي، بشير لجدل، البشير سوالم، سليمان تواتي ومحمد تواتي.

واصلت الدورية سيرها إلى قرية الجديدة[1] حيث زودهم المسؤول السياسي للناحية بإحدى عشر بندقية، وخمسمائة وستين ألف فرنك، وحدث أن مروا على خيمة، وما إن عرفت صاحبتها، أنهم مجاهدون حتى استبشرت بمقدمهم، وقالت لهم: (إن زوجي، كان يمتهن الصيد، ولما توفي، ترك لي سلاحا وذخيرة، وحزاما كان يتمنطقه، أرجوكم أن تقبلوا مني هذا، لأن زوجي طالما انتظركم، أيها المجاهدون في سبيل الله).

تقدّم المجاهدون في عز الحر اللافح، وما أن اقتربوا من "هود شيكة" حتى تموقعوا، وعقد القائد "حمة لخضر" اجتماعا تقويميا لمرحلة التوجه نحو الهدف، ووقتها انضَّم إليهم المجاهدون: أحمد عريف، مصباح خويس،

(1)- قرية الجديدة: تقع شمال بلدة (الدبيلة) وتبعد عن مدينة الوادي بعشرين كيلومتر وهي مسقط رأس القائد "حمة لخضر" الذي ولد عام 1925م.

إبراهيم رحومة، الهاشمي رحومة، السايح العياط، إبراهيم الزاوي، لزهاري الزاوي والمجاهدة مريم رحومة.

في يوم 7 أوت، كانت الدورية تتأهب للتحرك بعد معاينة خمس شاحنات محملة بالعساكر، وبعض (قياد) الجهة، وما إن اقتربت من كمين نصب لها، حتى كانت هدفا لرصاص المجاهدين، فأصيب ضابط برتبة رائد، وآخر برتبة ملازم، وقتل سبعة عشر عسكريا، وولى الباقون الأدبار تاركين قتلاهم في الميدان، وغنم المجاهدون مدفعا ورشاشا من عيار 24 / 29 وأسلحة وذخيرة، وبسرعة، غادروا الجهة، وأثناء تغيير الاتجاه، إذا بمجاهد يكشف عن مجموعة من العساكر تقدر بخمسة وعشرين عنصرا، تقتفي أثرهم، وهنا أمر القائد (حمة لخضر) المجاهد عبد المالك قريد، أن يتولى أمرهم بالالتفاف حولهم في حين استمرت الدورية في سيرها، حتى يخال للعساكر الملاحقة، وأن المجاهدين في غفلة عنهم، وما إن أدرك القائد أن عناصر العدو صارت بين المجاهدين حتى انعطف عليهم بمجموعته، في الوقت الذي كانت فيه مجموعة المجاهد عبد المالك قريد، تطبق من جانبها عليهم، فسقطوا صرعى وجرحى وأسرى، عدا عميلا واحدا تمكن من الفرار، وقد قال عنه القائد: "أتركوه يعود إلى أسياده ليخبرهم بالواقعة"، وتم الإجهاز عن الأربعة والعشرين عن آخرهم.

في يوم 8 أوت، باتت المواجهة أكيدة، وهنا استشار القائد "حمة لخضر" مجاهدي الجهة عن إمكانية التموقع في مكان إستراتيجي

لمواجهة العدو فأشار عليه المجاهد إبراهيم رحومة بـ "هودشيكة"، ولم تمضِ أقل من ساعة، حتى ظهرت قوات قادمة من جهة قمار[1] تتقدم نحوهم، وكان القائد قد وزع مهام المجاهدين في الميدان، حيث تولى المجاهد عبد المالك قريد الجهة الغربية لمواجهة قوات متقدمة صوب موقع القائد (حمة لخضر) الذي كان في استعداد للمواجهة.

بدأت المعركة بكل ضراوة، وقد ثبّت القائد عشرة من الرماة البارعين في مواقع جيدة، استطاعوا الثبات حتى أفول الشمس، وقد استشهد ثلاثة مجاهدين، وجرح اثنا عشر في هذه المواجهة، وانسحبوا خارج الطوق، بعيدين عن ميدان المعركة، ومروا إلى ناحية "لاضايا" ووصلوا إلى "هود غزالة" حيث صلوا الفرائض جمعا، وما لبثوا أن وجدوا أنفسهم أمام قوات قادمة من كل صوب، ولم يمض إلا قليل من الوقت حتى بدأت الطائرات، في قصفها المركز، لم تستطع قوات المشاة التقدم صوب مواقع المجاهدين، الذين يملكون أسلحة متطورة، ويحسنون استعمالها جيدا، وامتدت مساحة المعركة من (هود شيكة)[2] إلى (هود علي بن ناصر).

أمام غارات الطائرات المدمرة وهجوم المشاة المكثف، حاول المجاهدون الثبات، إلا أن الضربات كانت ماحقة يستحيل تجنبها أو

---

(1)- بلدة قمار: تقع شمال مدينة الوادي بإثني عشر كلم.

(2)- وقعت معركة (هود شيكة) في يوم 7 أوت 1955م بوادي سوف، والتي دامت ثلاثة أيام، استشهد خلالها قائد المعركة محمد لخضر عمارة (حمة لخضر) وعدد من المجاهدين.

ردها، وسقطوا تباعا في ميدان الشرف[1] وأصيب القائد "حمة لخضر" بإصابات بليغة من مدفع رشاش مصوب من طائرة حلقت على أمتار منه، وتوجه البطلان العربي بوغزالة وعبد المالك قريد، نحوالقائد الجريح، ولحظتها، أصيب المجاهد بوغزالة ليستشهد في الحين، وتمكن المجاهد عبد المالك قريد من الوصول إلى القائد، الذي لفظ أنفاسه في الوقت الذي كانت فيه طائرة تقصف الموقع بقنابل متتالية.

الوحيد، الذي خرج من المعركة سالما هوالمجاهد عبد المالك قريد، وقد رأى رفاقه البواسل يستشهدون الواحد تلو الآخر، ورأى أن يتوجه إلى قاعدة الانطلاق، ليبلغ القيادة بجبل الجرف، بما تم بشأن معارك أوت الجنوبية، وسار حاملا آلاما لا تقاس بآلام بني البشر، وعزيمة لا يمكن أن تتوفر لأي إنسان، سار أياما وليال، وهو منهك القوى لهول ما خاض من معارك، وما واجه من أحداث جسام، يشيب لهولها الولدان.

وفي أواخر شهر أوت 1955م وصل المجاهد عبد المالك قريد إلى مركز القيادة بوادي "عرعار" حيث رحب به المجاهدون المرابطون في جبل الجرف وفور ذلك، عقد القائد بشير شيحاني اجتماعا ضم: عباس لغرور، عاجل عجول، بشير ورتال (سيدي حني) بشير صالح، حمة فرحي، حمة بن زروال، لزهر دعاس، العيد ساعي، الوردي قتال، بابانا ساعي، علي بخوش، محمد بن الصدراتي ومحمد بعلوج.

(1)- دفن هؤلاء الشهداء، بناحية قرية "هبة" التي تبعد عن المكان بنحو عشرين كيلومتر.

رحب القائد بشير شيحانـي بالمجاهد عبد المالك قريد، العائد من معارك الجنوب، وطلب منه تقديم عرض حال تفصيلي لوقائع المعارك التي خاضوها، وعن كيفية إستشهاد (حمة لخضر)[1] وجميع المجاهدين، فكان جواب المجاهد: (لقد ضربنا جيش العدوضربات سديدة، ودخل كل المجاهدين الجنة بأحذيتهم، وصمت) وقد تأثر الجمع المحتشد، بما سمعوا وعلموا، وهنا، تكلم القائد، قائلا: (بسم الله، وباِسم مجاهدي (أوراس _ النمامشة) أعلن تسميتك من اليوم باسم (الجنة)[2] وواصل القائد كلمته، وذكر ما تم في هجوم الشمال القسنطيني، حيث أن عساكر العدو، أقدمت على إرتكاب مجازر مروعة، لا يمكن أن تمر بدون أن تدفع فرنسا ثمنها من أبنائها في الجزائر، وقد إستشف المجاهدون من ثنايا نبراته الوهاجة وعباراته المتأججة ما ينبئ من أن القائد مقبل على معركة قد تختلف عن المعارك الأخرى.

(1)- أرى أن أذكر، أن جامعة ولاية الوادي، أطلق عليها اسم البطل الشهيد محمد لخضر عمارة (حمة لخضر) عام 1995م.

(2)- في عطلة ربيع 1987 كلفت طلابـي من قسم الهندسة المعمارية بجامعة بسكرة، أن يقفوا على حال المجاهد عبد المالك قريد بمدينة الوادي، بعد أن عرفت أنه حي يرزق، وفعلا، أحضروا لي صورة، وهو يتوسطهم مع ابنه المهندس، وقدم لي دعوة لزيارته، فقبلتها إلى حين مع طلابـي: سليم غديري، عبد المومن شوية، كمال ملوكة، عبد الرزاق قماري وخالد مستور، أنتظرُ تثبيت الدعوة لتلبيتها، أنظر موقع الكاتب، محور المناسبات التاريخية.

الهجوم العام
الهجوم العام

لم تحقق تلك العمليات الكبيرة، التي كان يعتقد أنها لا ترد أهدافها في القضاء على تأجج الثورة، وإلى جانب ما كانت تدفعه فرنسا من جهد عسكري ضخم، نظمت أجهزتها الاستعمارية حملة دعائية واسعة، لتمجيد المظليين وإرهاب السكان، وقد جاء في أحد المنشورات التي تلقي بالطائرات على المدن والقرى و(المداشر): (عما قريب، سينزل السخط على رؤوس المتمردين، بعد ذلك سيحل السلم الفرنسي من جديد).[1]

وأعطيت التعليمات إلى رفع عدد المحتشدات والمعتقلات والسجون، لأن سكان الأوراس، اعتبروا جميعا (فلاقة) (tous des fallagas) ورغم تلك الاحتياطات ومضاعفة الإمكانيات الحربية، فإن الثورة استمرت في حصد وقطع رؤوس المعتدين والعملاء، وزرع الرعب فيهم، حتى ضاقت بهم المنطقة بما رحُبت.

إلا أن العمليات العسكرية الكبيرة، وعمليات التمشيط المكثفة، واستعمال العتاد الحربي المتطور لفرنسا والحلف الأطلسي، وتسخير آلاف الأجناد من أوروبا، قد شكلت مضايقة لا تطاق، وخناق شديد على الوحدات الأولى المكونة لجيش التحرير الوطني.

---

(1)- الثورة الجزائرية في عامها الأول، الدكتور محمد العربي الزبيري، مرجع سبقت الإشارة إليه، 1984، ص127.

وكان نائب القائد مصطفى بن بولعيد[1] بشير شيحاني، قد أدرك أن الثورة، قد تنتكس أوتجهض، إذا لم تستنجد بالمناطق الأخرى، وعليه فقد بعث برسالة إلى قائد المنطقة الثانية (السمندو- الشمال القسنطيني) يوسف زيغود، بأن الحالة قد لا تحتمل أكثر، وطالبه بأن يعمل شيئا من أجل الثورة،وكلف دورية من المغاوير الشجعان، بقيادة المجاهد أحمد جرعاوي، لإبلاغه أن الهلاك المحقق، قد يحل بالثورة، إذا لم تتحرك المناطق المجاورة، وذكره بأن الأوراس قد تعهد بتحمل مسؤولية احتضان الثورة لمدة ستة أشهر، ولكن عدد الشهور تجاوز ذلك، فإلى متى سيظل الأوراس صامدا؟

رأت قيادة المنطقة الثانية، أن المهمة كبيرة، وتحملها واجب ثوري، وأنه لا بد من عرقلة الإمداد الفرنسي، والتصدي للقوات الاستعمارية التي تجتازها إلى المنطقة الأولى، وقرروا فك الحصار عن الأوراس، وتأكيد استمرارية وشمولية الثورة المسلحة، التي فجرتها طلائع جيش التحرير الوطني في أول نوفمبر 1954م، وإثبات عكس ما يدعيه الاستعمار، بأن الثورة ما هي إلا عمليات محددة، لبعض الإرهابيين والخارجين عن القانون من اللصوص وقطاع الطرق المتخذين من الكهوف وأعالي الجبال، منطلق لغاراتهم تحت جنح الظلام؟

إذن، فالهجوم العام ضرورة حتمية يتولاه الشعب، وتنفذه فرق المسبلين بأمر من قيادة المنطقة الثانية، تحت مسؤولية القائد يوسف

(1)- في هذه الأثناء، كان القائد مصطفى بن بولعيد يواجه حكم الإعدام بسجن الكدية بقسنطينة.

زيغود، للرد على عمليات الإبادة والتقتيل الجماعي والسلب والنهب التي مارستها قوات جيش الاستعماري ضد المواطنين العزل لموقفهم من الثورة ومساندتهم للمجاهدين.

باتت العملية في حيز التنفيذ، وعقدت القيادة اجتماعات لتحليل الوضع، والتحضير للعملية الكبرى، وكان الاجتماع الأخير، مساء الجمعة 19 أوت 1955 ضم قيادة المنطقة (يوسف زيغود، لخضر بن طوبال، مصطفى عمار بن عودة، علي كافي، محمد الصالح ميهوب وعمار بوضرسة) وحضرته أعداد غفيرة من أبناء الشعب، وتم الاجتماع في دار (الزمان) لتوفير الأمن والكتمان، والسرية على سلامة العملية الكبرى، وبعدها توجهت الأفواج والجموع على بركة الله، إلى مواقعهم في الميدان.

في يوم السبت 20 أوت 1955 وعندما كان الفرنسيون، يطالعون الصحف، التي نقلت إليهم حروفها، تصريحات جنرالهم (سوستيل) أخبار استقرار الوضع، بعد القضاء على المتمردين في أعالي قمم جبال الاوراس، ونجاح برنامج الإصلاحات، كان جيش التحرير الوطني، وجموع الفدائيين والمسبلين والمواطنين يكتمون الأنفاس، انتظارا للوقت الموعود، مخبئين للمستعمر والمعمرين مفاجأة العشرين أوت.

وصل جنود جيش التحرير، صباح يوم السبت، متنكرين في الثياب المدنية، ومن تحتها اللباس العسكري، متجهين إلى الأسواق أومختبئين في المنازل والسطوح ومتمركزين في الغابات والوديان والهضاب والروابي والمزارع القريبة من الأهداف المحددة للعمليات، وهي تسعة وثلاثون هدفا.

أدرك القائد العام للهجوم الشامل يوسف زيغود، أن المواجهة ستكون مصيرية، وانه كما صرح: (أن الخسارة ستكون مرتفعة، سنقوم بالهجوم الشامل، حتى ولو قضي على نصف السكان، فإن الثورة ستربح، لأن الجزائر ستتحرك، وعلى أية حال، فان الثورة لن تكون (بعد الأحداث) أسوأ مما هي عليه الآن)[1].

وشملت الأهداف: معسكرات، مطارات، موانئ، مراكز الدرك، الشرطة، الأعوان، خطوط السكك الحديدية، مصانع، مقاهي، ضيع المعمرين، حانات، وبعض رؤساء البلديات، حراس الغابات، عملاء المعمرين بدون استثناء، ولأول مرة منذ 1954 لا يفرق جيش التحرير الوطني في عمليته بين العسكريين والمدنيين الفرنسيين (المعمرين).

عندما حان أذان الظهر[2]، كانت الأعلام الجزائرية قد رفرفت أمام الأفواج، ومع صوت آذان المؤذن للصلاة، ترددت في الأرجاء الدعوة إلى الجهاد، واختلطت أصوات الرصاص بزغاريد النساء، وصرخات عساكر العدو الفارين إلى أوكارهم من هول المفاجأة، وبدأت الحرب الفعلية التي هدّت أركان الاستعمار، وهزت عملاءه، وسجلت النصر المبين، وأعادت الثقة للمجاهدين والشعب، وفك الحصار على الأوراس، وهروب معمري المنطقة، وترك ما كان بأيديهم، وما نهبوه من أملاك وغيرها.

---

(1)- الثورة الجزائرية من عامها الاول، الدكتور محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص 141.

(2)- إن اختيار موعد هجوم عشرين أوت 55 كان في منتصف النهار، وهو من جهة أخرى يحمل في طياته ردا على فرنسا التي ظلت تزعم بأن خوف المجاهدين، يجعلهم لا يظهرون سوى ليلا، وأراد قادة الثورة من اختيار هذا الموعد لتنفيذ العمليات الهجومية، هوتاريخ نفي الملك المغربي محمد الخامس من طرف السلطة الفرنسية إلى مدغشقر، إبراز روح التضامن ووحدة النظام المشترك لشعبي المغرب العربي ضد الاستعمار الفرنسي.

بعد الهجوم العام، إهتزت إدارة السلطة الإستعمارية الفرنسية، وانقلب الميزان، وسادت الفوضى بين المعمرين وجنود الإحتلال، وتكالبت قوات من عسكريين ومعمرين على الشعب، فارتكبت مجازر منها في سكيكدة، لا مثيل لها، إلا مجزرة 8 ماي 1945م حيث كانت الإعتقالات الجماعية، إحراق المداشر، تهديم القرى، جمع آلاف من الشباب في ملعب سكيكدة وحصدهم حصدا[1]

إن ملحمة الشمال القسنطيني، جعلت فرنسا تشتري خمسين طائرة مروحية، ومائة طائرة من طراز (B26) من الولايات المتحدة الأمريكية، وجاءت بالفرقة الأجنبية يوم 24 أوت إلى الجزائر، وأحضرت الفرقة الثانية الآلية من ألمانيا يوم 26 أوت، بالإضافة إلى الإمدادات التي تلقتها من الحلف الأطلسي.

وبعد الهجوم العام في تحطيم شوكة الاستعمار، قامت قوى العدوان برد فعلها الانتقامي الذي ظهر في تدمير مئات القرى والمداشر عن آخرها، بما فيها إبادة تامة، وكان عدد الضحايا الذين جادت بهم هذه المنطقة إثنا عشر ألف ومائة وخمسة وتسعون شهيدا وشهيدة خلال ثلاثة أيام مشهودة، وأربع ليالِ حاسمة.

(1)- مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946م –1962م) هكذا تم الإعداد لـ 20 أوت 1955م، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر 1999م، ص 80–91.

معركة جبل الجرف الكبرى
معركة جبل الجرف الكبرى

معركة الجرف بقيادة شيحاني بشير، مسؤول الإدارة العليا للثورة وعباس لغرور النائب الأول العسكري، عجول عاجل النائب الثاني السياسي، بشير ورتال (سيدي حني) الوردي قتال، ساعي فرحي "بابانا" عمر البوقصي، لزهر شريط، بشير بن صالح، حمة فرحي، حمة بن زروال، لزهر دعاس، علي بخوش ومحمد بن الصدراتي ومشاركة حوالي ثلاثمائة مجاهدًا.

يذكر الرواة المجاهدون، الشيء الكثير عن هول المعركة، التي دامت بأيامها الثمانية الطويلة، دون هوادة أوهدنة، إذ قالوا فيما ذكروا، أن صبر القيادة، وثبات جيش التحرير الوطني، أمام قوات لا حصر ولا عد لها، فاق كل صبر، وأنهم بذلوا من دمائهم وأرواحهم، ما لم يبذل في أية معركة، وأنهم أظهروا صمودا في القتال، يعجز الواصفون عن وصفه.

جرت وقائع المعركة بإحدى الشعاب العميقة بالجبل الأبيض جنوب جبل الجرف، المطل على أبواب الصحراء، الذي يعتبر قلعة من قلاع الثورة التحريرية، وقد سخّر فيها الجيش الفرنسي أحدث معداته، وجنّد لها أعدادًا هائلة من قواته، إلا أنه تكبّد فيها خسائر فادحة، تمثلت في قتل وجرح المئات من العساكر المهاجمة، وإسقاط طائرات وعطب دبابات، وإحراق شاحنات.

في يوم 22 سبتمبر 1955م: نشبت معركة الجرف بين المجاهدين الثلاثمائة، وعساكر الجيش الفرنسي المهاجمين، بحماية المدرعات بإتجاه الجهة الشمالية، حيث تتمركز القيادة، وهنا أصبحوا عرضة لرصاص المجاهدين من كل صوب، مما أدى إلى تقهقرهم في حالة من الإرتباك والذعر الشديدين.

أثناءها، أدرك قادة الجيش الفرنسي، إستحالة تقدمهم إلى مرابض المجاهدين، فأعتمدوا على قصف الطائرات التي صبت قنابلها الغازية المحرقة لتغطية تقدم المهاجمين[1]، إلا أنهم في كل مرة يتراجعون ويولون الأدبار، تاركين قتلاهم وجرحاهم في الميدان، وقد أظهر المجاهدون بسالة في الصمود طيلة اليوم المشهود.

اليوم الثاني 23 سبتمبر: كان بزوغ الفجر على دوي القنابل، التي تتهاوى حول مواقع المجاهدين، وقد أظهر الرماة مهارتهم في القنص والتصويب في مقدمة المشاة، الذي لم ينجُ منهم كل من حاول الإقتراب أكثر، وكانت النجدات تتوالى بإستمرار، وتواصل الإحتدام إلى ساعة متأخرة من الليل، وقد حاول المجاهدون إيجاد منفذ للخروج، لكن العدو وأحكم سيطرته على كل المنافذ التي يمكن

(1)- حدثني أحد المجاهدين، قال: كانت القنبلة، حين تقترب من الارتطام بالأرض، تجعل الصخور تتطاير، تاركة فوهة كبيرة لتهوي فيها وتنفجر، مُحدِثةً هزّة، عنيفة تفقد وعي القريبين من مكان وقوعها من شدة الإنفجار، إلا أنها لا تؤثر على المجاهدين، لأن مواقع تمركزهم أعلى من سطح الأرض، الذي ترتطم به القنابل، لكن المؤثر حقا، أنّ قنابل النابالم تحرق الصخور، وتتقدم نيرانها بسرعة نحو المواقع، وهنا لابد من أخذ الإحتياطات الضرورية لتفاديها وتجنب ضررها.

الخروج منها بطوق من الشاحنات والمدرعات، وهذا يعني الإستعداد للقتال ليوم طاحن آخر.

اليوم الثالث 24 سبتمبر: ثارت ثائرة قادة الجيش العرمرم في جبل الجرف، فأصدروا أوامرهم إلى جميع الوحدات بالهجوم على عدة محاور لمخادعة جيش التحرير الوطني، الذي تحصن في مواقع أكثر مناعة يستحيل بلوغها، وصار ميدان المعركة شاسعا لا يمكن حصاره، جبال شاهقة جرداء ملساء يصعب تسلقها أو اختراقها أمام جيوش تقاتل بروح انهزامية، وحاولت هذه القوات التقدم والتغلغل في ميدان الاقتتال لتغيير معطيات ونتائج هذه المعركة، وقد كان رصاص المجاهدين بالمرصاد، حيث أسقط الكثير من المتقديمين والمندفعين في موجات على جثث القتلى، التي انتشرت في الشعاب وتراكمت في سفح الجبل الذي أضحى كتلة جهنمية، وقد غطى الجو دخان القنابل القاتل، وأسقط المجاهدون ثلاث طائرات مما زاد في حماسهم وغنموا أسلحة وذخيرة تمكنهم لخوض المعركة لأيام وأيام.

قدمت تقارير للقيادة عن سير المعركة، تضمنت أن القوات المهاجمة، اتخذت مواقعها على الممرات والوديان والجبال البعيدة ومن المحتمل ستعمد على تنفيذ هجوم شامل وكاسح، وهنا قرر القائد شيحاني بشير خروج المجاهدين من الحصار، وإلا تعرضت الكتائب للإبادة الكاملة، خاصة وأن قوات كبيرة تستعد للانقضاض واجتياح الجبل، وأرسلت

دورية للاستطلاع إلا أنها رأت استحالة اختراق واجتياز القوات المتأهبة لاكتساح الجبل في أرتال طويلة. وهنا أصدر القائد شيحاني بشير الأمر بأن يتوجه الجيش نحوالجنوب باتجاه جبل (مسحالة) و(جديدة) دفعة واحدة وإمطار العدوبنيران غزيرة كخطة وقائية.

خرج المجاهدون من مرابضهم ونزلوا الميدان، وهم يطلقون النار في كل اتجاه وكل واحد يردد الله أكبر، ولا أحد أدرك كيف تمكن المجاهدون من اقتحام صفوف الآليات التي صارت كعلب معطلة، وتجاوزوا العساكر التي لم تحرك ساكنا، نتيجة هول المفاجأة، وصار ميدان المعركة شاسعا، ووقعت مواجهات مع عساكر العدو لأيام أخرى في محيط الجرف، واعتبرت نتائج المعركة نكسة كبيرة وضربة في الصميم لساسة فرنسا وقادتها، وخاصة وأن نجدات سريعة وصلت من وراء البحر، حطت قرب جبل الجرف لخوض المعركة[1]، لكن القائد شيحاني بشير فوّت عليهم الفرصة وأكد لهم أن جيش التحرير الوطني، لا محالة منتصر على المعتدين.

بقي مع القائد شيحاني بشير في مركز القيادة: سديرة عبد العزيز، شامي محمد، عون الله بوساحة، عبد الحميد علي المعافي أكثر من أسبوع. وعند خروجهم من مركز القيادة، التحقوا بإخوانهم بضواحي

(1)- لمزيد من التفاصيل، أنظر، دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، المجاهد العيد بوقطف، معركة جبل الجرف الكبرى، إنتاج جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة بولاية تبسة، مطبعة عمار قرفي، باتنة، 1999، ص164–173.

جبل الجديدة، وبوصولهم تنتهي أحداث أكبر معركة عرفتها المنطقة ألا وهي معركة الجرف الكبرى.

وقد تحقق النصر المؤزر بعون الله، الذي لم يستطع أحد إنكاره، وهزيمة الجيوش المعتدية حقيقة دامغة، إذ أصبحت مجرد هياكل محطمة، وعزائم خائرة، وبقيت معركة الجرف داحضة للمحاولات اليائسة لحجب الحقائق عن شعوب أوربا، وتضليل الرأي العالمي، وكانت نتائج معركة الجرف التاريخية كالآتي:

* استشهاد مائة وسبعون مجاهدا وإصابة ما بين أربعين وخمسين بجروح، ولم يلق القبض على أي منهم، وغنم المجاهدون عتادا حربيا من مختلف أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة وكميات كبيرة من المؤونة والألبسة.

* استشهاد أكثر من مائة من المدنيين، واعتقال أعداد كثيرة من سكان منطقة جبل الجرف، وحوّلوا إلى معتقل الجرف.

وكانت خسائر الجيش الفرنسي تتمثل في الآتي:

* قتل وجرح المئات، وإصابة طائرات من مختلف الأنواع بين العطب والإسقاط، وتعطيل وحرق وتدمير دبابات وشاحنات.

* في نهاية الأسبوع الرابع من شهر سبتمبر، عقدت القيادة اجتماعا وجّه فيه القائد شيحاني بشير عبارات الاستحسان لجميع المجاهدين والمدنيين الذين استبسلوا في المعركة، وأمر مسؤولي المناطق بالالتحاق بمراكزهم والاستمرار في الثورة حتى التحرير.

الهروب الكبير

رفض القائد مصطفى بن بولعيد البقاء وراء القضبان انتظارا لتنفيذ الحكم[1]، فقرر العمل على الهروب، وفعلا عمل مع ثلاثين مناضلا، كان قد حكم على معظمهم بالموت.

وكان المناضل بشير حجاج، الذي سجن أكثر من مرة في سجن الكدية بقسنطينة، يعرف معابره ومنافذه، وبعد ثمانية وعشرين يوما من الحفر البطيء المتواصل والحذر الشديد، تمكنت المجموعة من الوصول إلى الغرفة المجاورة وكانت التربة المستخرجة تصرف في مجاري المياه حتى لا يبقى لها أثر.

وفي ليلة 11 نوفمبر 1955 ضبطت الخطة الصعبة للهروب الكبير، وقد تمكن أحد عشر مناضلا اجتياز السجن وهم: مصطفى بن بولعيد (آريس) محمد العيفة (سكيكدة) حمادي بوكرومة (سكيكدة) ابراهيم الطيبي (سوق أهراس) رشيد أحمد بوشمال (باتنة) الطاهر الزبيري(أطال الله عمره) (وانزة) لخضر مشري (بني صالح، بوحجار، عنابة) محمد بزياني (تكوت) وسليمان زايدي (يابوس) حسن عريف (يابوس) وعلي حفتاري (خنشلة) كانت التعليمات الصادرة لهؤلاء، بأن يتفرقوا على مختلف جهات قسنطينة، حتى يصعب متابعة الجميع.

(1)- تمت محاكمة القائد مصطفى بن بولعيد في تونس، فكان الحكم بالسجن المؤبد، وأعيدت المحاكمة في قسنطينة ، فكان الحكم بالأعدام.

خرج القائد مصطفى بن بولعيد، مع ثلة من المناضلين برفقة محمد العيفة، حيث اتجها نحومقبرة المدينة، ثم الخروب فجبل القرزي (القراح) فكَاف النسر إلى جبل بوعريف، ودخلا الأوراس من جبل وستيلي بالقرب من تازولت.

اتصل القائد في جبل وستيلي بمسؤول الناحية مدور عزوي وأخيه عمر بن بولعيد، والصادق شبشوب (قوزير) وإلتقى في وادي عبدي والوادي الأحمر (منطقة بوزينة) بأفواج من المجاهدين، الذين كانوا على أهبة الإستعداد لخوض معارك الشرف بقيادة أحمد نواورة، عبد الباقي بن عباس والهاشمي دردور وامحمد حابة.

واصل القائد مسيرته في الأوراس، فكان في الجبل الأزرق، حيث إلتقى بأحمد بن عبد الرزاق حمودة (سي الحواس) وعرضا معا حال الثورة في الولاية الأولى، وحمّل القائد مصطفى بن بولعيد، (سي الحواس) تحياته إلى المجاهد الشيخ عاشور سي زيان، وطلب منه العمل على القدوم إلى الأوراس.

وبعد أيام من الخلاص، وصل القائد المظفر إلى عمق كيمل حيث مقر الولاية والقيادة، وقد أقيمت له مأدبة عشاء في مركز حمام شابورة، وقام باستعراض قوات جيش التحرير الوطني المسلحة في أروع ما يكون من التنظيم والانضباط بقيادة عجول عاجل وعبد الوهاب عثماني، وألقى خطابا هاما أمام الحشود المسلحة ركز فيه على وحدة الصف، ومحاربة الاستعمار وأعوانه، بكل الأساليب وشتى الوسائل.

معركة (إيفري) البلح بجبل أحمر خدو

(13-14 جانفي 1956)

أدركت الأجهزة الاستعمارية، أن القائد مصطفى بن بولعيد، بعد هروبه من السجن، سيتجه نحوالأوراس، وعليه، فقد غطت المنطقة بجيش من المخابرات المدنية والعسكرية لمتابعة أخبار القائد.

وخصصت قوات من مختلف الفصائل المدربة على عمليات التمشيط والإبادة، يقودها عدد من الجنرالات والعقداء وضباط من مختلف المراتب، وفرق محمولة جوا، لزجها في أية جهة، يحتمل أن يكون بها القائد أويتواجد فيها، وطبيعي والحالة هذه، فقد تأكد القائد مصطفى بن بولعيد أن المواجهة لا بد منها، ورأى أن يتحدى قوة فرنسا وجبروتها ويحطم عنجهيتها وصلفها وغرورها، فكان مكان (إيفري) البلح خير مكان للمنازلة، خاصة بعدما وردت أخبار للقيادة من مواقع الرصد المتقدمة تؤكد: أن قوات كبيرة، واستعدادات مكثفة من جانب الجيش الفرنسي تتجه صوب الجهة.

اتخذت القيادة وعلى رأسها مصطفى بن بولعيد، ومسؤول الناحية الثالثة بغسيرة محمد بن المسعود بلقاسمي قرارا بالتمركز في سفح الجبل في مكان (إيفري) البلح، وتوزيع مجاهدين ماهرين في القنص والرمي على الروابي المطلّة على مقر القيادة، ومنذ اللحظات الأولى للهجوم، تدخلت الطائرات بالقصف المركز، بالقبائل المدمرة، التي أحالت الجبل إلى بركان غاضب ملتهب، بل إلى كتلة جهنمية، وبعد وقت

قصير، وصلت النجدات السريعة والقوات الضاربة المتخصصة في العمليات الكبرى، من آريس، بسكرة، باتنة، إضافة للقوات القارة بالجهة، من مشونش وتفلفال وغوفي وتكوت، زيادة إلى فرق الإنزال الشرسة، التي شكلت جسرا جويا دائريا حول محيط الجبل، لتمنع خروج المجاهدين من الحصار المحكم.

وقد كانت المعركة على أشدها وبكل ضراوة في اليوم الأول، حيث استبسل فيها الأبطال، أمام قوات العدوالمتناحرة، والدبابات المجنزرة والطائرات التي تصب قنابلها لتحرق البشر والحجر، ويشهد التاريخ لأولئك الرماة البواسل، ونذكرهم: بلقاسم بن عمر، عمر إدريس، عمار بن محمد شاهدي، أحمد بن بلقاسم عبدلي، الشريف رابحي، رابح الوهراني وأحد المجاهدين من بني معافة، أطلق عليه القائد مصطفى بن بولعيد حينها "قرين" لأن طلقاته لا تخطئ ناصية الأعداء.

لقد كان هؤلاء مثالا رائعا للشجاعة النادرة والبطولة الأسطورية، حيث وجهوا ضربات سديدة مصيبة لقوات العدو المهاجمة، التي حاولت أن تتقدم وتقتحم الموقع، بل حتى المصفحات والدروع توقفت عن التقدم والتحرك، أمام الطلقات المسددة صوبها.

في اليوم الثاني من المعركة المستمرة ليلا نهارا، حاولت القوات المندفعة المتدفقة من كل حدب وصوب، إحكام الحصار المشدد، انتظارا للإمدادات التي قد تصل من وراء البحر، لأن أوامر الهجوم، كانت تصدر من باريس مباشرة، خاصة بعد التأكد من وجود القائد مصطفى بن بولعيد في الميدان.

لقد كانت مقاومة جنود جيش التحرير الوطني متواصلة، إذ استماتوا في القتال والدفاع عن القائد، وقدموا درسا للاستعمار، إن كان بليدا لا يفهم كعادته، بأن أبناء الجزائر الأحرار، لا يمكن استعبادهم، مهما ارتفعت التضحيات وغلى ثمن الحرية.

بعد نزال رهيب، طوال يومين، إقتحم القائد وصحبه الميامين في هجوم صاعق، خطوط العدو ومحتشداته، وخرجوا من الطوق بمعجزة حربية، بعيدة عن تصور جنرالات الظلم وعقداء العدوان، وتم الانسحاب، عبر جبل أحمر خدو إلى كيمل، بعد استشهاد ثمانية وأربعين شهيدا، وتكبيد القوات الفرنسية، خسائر معتبرة.

خلال المعركة، ألقت عناصر من ذوي القبعات الحمر، التي كانت في حالة هستيرية، القبض على المجاهد بلقاسم بن محمد سليماني، وزوجته المجاهدة عمرية بنت محمد أزروال، ومعهما ابنهما أحمد، وبعد أن تأكدت الفرقة من عدم جدوى تعذيبهم للحصول على معلومات عن القائد مصطفى بن بولعيد والمجاهدين، أعدموا الأب والإبن على مرأى الأم، لعلها تعترف وتقول شيئا، لكن هيهات، لقد انتفضت، ودفعت القتلة، وفرقتهم، وأسرعت بجراحها الراعفة، وألقت بنفسها من الجبل الشاهق، لتعلن في صرخة مدوية، رددتها الكهوف والصخور والوديان والشعاب للجلادين والعالم المستعبر بنار الانتقام وثأر الهمجية، بأن النصر والعزة للمجاهدين، والهزيمة والمذلة للمعتدين.

الصفحات المرعبة

تمثل الوثيقة، التي نكتبها، عينة محدودة، من حيث المكان والزمان، تصور لنا بكل وضوح، ممارسات الجيش النظامي الفرنسي ضد السكان العزل، وتصور لنا، كيف تحول هذا الجيش الرسمي إلى آلة للتعذيب والتقتيل الفردي والجماعي والتدمير والتخريب، وأداة سلب ونهب على نطاق واسع، وهي بالتالي شهادة تدين هذه الممارسات وتندد بها، إنها شهادة جندي فرنسي استيقظ ضميره، فقرر، أن يروي لنا وقائع التعذيب الوحشي داخل الجيش، وهو إذ يفعل ذلك، إنما يريد أن يعرف الناس، شيئا من أهوال الحرب الاستعمارية في الأوراس من خلال ما شاهده بنفسه، أوعايشه عن قرب استنادا إلى ما شاهده رفاقه الجنود.

كتب الجندي (جاك بيشو– Jack Bisho) في مذكراته (سنة في الأوراس- un an dans les aures) يقول: كنت قضيت سنة كاملة في الأوراس، من مدة خدمتي العسكرية، وذلك بصفتي جنديا منتسبا إلى دفعة 54 / B2 من أفريل 1956 إلى افريل 1957.

عدت بعدها إلى فرنسا، وأنا موسوم بالعار والشنار، مكلل بالخزي، يائسا لكوني اصطدمت بصفة دائمة تقريبا بجدار اللامبالاة أو من الحقد، كلما حاولت أن احتج لدى الضباط وصف الضباط، أو كلما حاولت أن أوقظ الضمائر، ضمائر رفاقي الجنود.

بسكرة (جوان – أكتوبر1956) في مساء أحد الأيام، كنت عائدا من السينما، غداة وصولنا إلى بسكرة، وبينما كنت مارا بأحد الأنهج، شاهدت الجنود السنغاليين (القناصة) يحاولون إضرام النار، وكان أحدهم، مازال ممسكا بفأسه المضرج بالدماء، وكانت جثة أحد الجزائريين ملقاة أرضا، وقد مُثِّلَ بها شرّ تمثيل، وفي هذه الأثناء مر ضابط برتبة ملازم أول، حاول تهدئتهم، وقد علمت أن جزائريّين آخريْن، قد نفذا إلى الموقع حيث قتلا بواسطة قضيب، أدخلا في أذنهما وعيونهما، وقيل أن جنديا أوروبيا قام بتقديم العون لهؤلاء القناصة، أثناء التنكيل بالضحيتين، وأن عساكر أوروبيين آخرين، ينتمون إلى كتيبتنا، قد خرجوا يتراكضون إلى هذا النهج وراحوا يطلقوا الرصاص من بندقية رشاشة على غير هدى، فقتلوا جزائريا رابعا، كان الخوف قد دفعه إلى التمترس خلف باب داره.

جمعنا النقيب، وأمرنا بتفتيش عدد من أحياء بسكرة، والإغارة عليها، وهذا ما فعلناه، لماذا لم يعترض ذوي الرتب الموجودين بالمعسكر على هذه المذبحة وجرائم القتل هذه، ولكن ما سبب هذه الاغتيالات. لقد تعرض أحد الجزائريين إلى عملية سلب محفظته من قبل احد القناصين السنغاليين، فاضطر إلى الدفاع عن نفسه، فأصاب بجرح خفيف قناصا بخنجره، وعندئذ انقض السنيغاليون على الجزائريين الذين وقعوا تحت أيديهم، لقد اعتقل الجندي الذي قتل المدني، وذلك بناء على طلب السلطة المدنية لمدينة بسكرة بتهمة القتل

العمدي (وقد مثل هذا الجندي أمام محكمة عسكرية، قضت بتبرئة ساحته، أي بعد قبول الدعوى).

ومن بسكرة، كنا ننطلق للقيام بعمليات في الأوراس على وجه العموم، لمدة تتراوح بين ثلاثة إلى خمسة عشر يوما، وكانت هذه العمليات تستهدف في غالب الأحيان، المشاركة في ضرب الحصار، وكما كانت تجري، في أغلب الأحيان في مناطق محرمة (وهذه المناطق المحرمة تشهد اليوم توسعا كبيرا، كل يوم تشمل مناطق جديدة) مما يجنبنا كل احتكاك بالسكان المدنيين، ورغم ذلك، وأثناء القيام بإحدى العمليات التي جرت في الصحراء غرب (لوطاية) صادفنا ذات يوم مخيما للبدو الرحل، أمرنا النقيب بإحراق الخيم والمؤونة (المخزون الغذائي) التمست من الرقيب الأول، وكان أكثر تفهما من غيره، أن نترك جزء من هذه المؤونة، دون إتلاف فأذن لي بذلك، ثم أعدم الرجال رميا بالرصاص (احتفظ بأحدهم حيا، لحمل جهاز الاتصال ثم أعدم بمجرد الوصول إلى الشاحنة).

إن مبرر هذه الجريمة مبهم، فالمنطقة أصبحت محرمة منذ يوم أمس، وإن هؤلاء الرجال لا يحملون غير ما هولازم لبقائهم أحياء، ومن جهة أخرى، كان هؤلاء الرحل المقيمين بهذه المنطقة الصحراوية النائية غير المناطق الآهلة، حيث تبعد عن أقرب مركز عدة أيام مشيا على الأقدام، هل كان هؤلاء يعلمون شيئا عن الثورة؟ وعندما أعيد التفكير في هذه العملية الآن، فإنني مازلت أرى وجوه النسوة وقد

ارتسمت عليها علامات الخطر والرعب، ومشهد الأطفال الذين تركوا هناك، دون ماء، أمام رماد الخيام، ووسط الجثث التي فجرت رؤوسها، وتناثرت أشلاء.

وأثناء نفس العملية، جرح أحد (المتمردين) خلال إحدى الاشتباكات، وحمل على بغل لمدة طويلة، لأنه كان عليه، أن يقودنا إلى مغارات (كهوف) تحتوي على الأسلحة، لقد مشينا طويلا، منهكين وقد أخذ العطش منا كل مأخذ (كما سقط عدد منا لأنهم، لم يقووا على النهوض بمفردهم، فكانوا شبه محمولين أومتكئين على رفاقهم) دون أن نعثر على هذه المغارات.

وفي اليوم الموالي استأنفنا البحث عن هذه المغارات، ولم نعثر على شيء، ضرب الجريح بمؤخرة البنادق في موضع جروحه، ثم قال لنا النقيب، وقد بلغ به من النقالة (حاملة الجرحى) وراح الجريح يتدحرج على الأرض، ثم قتل برصاصة في الرأس.

وفي الأوراس، كنا غالبا ما نجتاز قرى مهجورة، كانت تعرضت لقنبلة الطائرات واحترقت، وقد صادفنا في العديد من المرات مدافن، تنبعث منها رائحة كريهة جدا ومنفرة، امتزجت فيها جثث الرجال بجثث البغال، إنها قوافل طاردتها الطائرات، ثم انقضت عليها، فأهلكتها عن آخرها.

وفي القرى الآهلة بالسكان، الواقعة في المناطق المحرمة، والتي مررنا بها، كان عدد المدنيين يعذبون أمام الجنود، على وجه العموم، بل وبمشاركة فعالة لبعض جنود الخدمة العسكرية، أوجنود العاملين.

وخلال شهر جويلية، حين كنا غائبين عن بسكرة، استدعيت كتيبتنا على وجه السرعة، وعند وصولنا، إليها كانت ساحة السوق ما زالت تحترق، وإليك ما حدث:

تعرضت دورية، كانت تمتطي سيارة، من نوع (جيب) لوابل من رصاص بندقية رشاشة، قتل من جراء ذلك، قناصا سنغاليا، برتبة عريف أول، قائد الدورية، وذلك خارج بسكرة.

وعلى إثر هذا الكمين، سارعت كتيبة من القناصة السنغاليين بالنزول إلى مركز المدينة (وسط المدينة) حيث أحرقوا الحي الميزابي، وقتلوا خمسة وثلاثين شخصا، ثم عسكروا حول أحد بساتين النخيل بالقرب من بسكرة، وقاموا بقتل ثلاثمائة وخمس وعشرين مدنيا، حسب أقوال أحد رفاقي الذين كان ملحقا بهذه الكتيبة الإفريقية، أما ضباطهم الأوروبيون، فكانوا حسب شهادات أحد رفاقنا، يأكلون ويشربون بنادي الضباط، لقد لجأوا إلى النادي، حتى لا يضطروا للتدخل. وعلى إثر هذه الأحداث، فرّ عدد كبير جدا من الأهالي، وأغلقت المحلات التجارية، جميعها طيلة عشرة أيام، ولم تفتح أبوابها، إلا بعد أن تدخل الجيش الفرنسي.

ومع نهاية شهر جويلية 1956، قتل أحد رفاقي، وهوبرتبة رقيب عامل، وذلك أثناء كمين، وقع داخل أحد بساتين النخيل بالقرب من القنطرة، أمر النقيب (م) قائد الموقع، بقصف هذه القرية بمدافع الهاون، لكنه لم يخلف ضحايا على ما يبدو، وفي الغد تلقت كتيبتنا الأمر، بتفتيش القرية المذكورة، وكانت فرصة سانحة لنهب وسلب القرية الآمنة، وهي مدينة صغيرة، على جانب كبير من الثراء، وكانت منازل الأغنياء والدكاكين مصدر كسب للجنود، لقد سرقت الأموال (النقود) التي عثر عليها في المنازل، أو في صناديق التجار وخزائنهم، ولدى تفتيش النساء (لقد عثروا أحيانا على مبالغ هائلة قد تفوق مائة ألف فرنك دفعة واحدة).

لقد صرح لنا قائد فصيلتنا الرقيب الاول (ف) قائلا: من يعثر على دراهم ولم يأخذها، فهو أحمق، أو مغفل لا محالة، وبعض هؤلاء الجنود كان يتباهى باغتصابه النساء، ونقيبنا الذي كان يشهد عمليات السلب والنهب، فإنه لم يشارك بنفسه فيها، أولم يأخذ شيئا لنفسه، غير أنه عندما مر أمام دكان مسلوب، حيث كان صندوق أمواله قد خلع، ومحتوياته خاوية على عروشها، والبضائع الغالية الثمينة قد نهبت، تناول حبة حلوى ووضع مكانها خمسة فرنكات على مبسط السلع، وفي محل بائع الساعات، حيث جميع الأشياء الثمينة، كانت قد نهبت، قام بإعادة مبنى عتيق إلى موضعه الأصلي.

وكان عملنا، ينحصر بين عملية وأخرى في القيام بأعمال الدوريات، صحبة رجال الدرك، أو إقامة الحواجز على الطرقات خارج مدينة بسكرة، وكذا القيام بحراسة أسطح المدينة ليلا.

وفيما يتعلق بشرطة بسكرة، أشير إلى أن مسلكهم، إزاء السكان إلى حد ما سليم، فرجال الشرطة، يشاركون في الغارات المفاجئة، وعمليات التفتيش للأحياء العربية، وكانت مهمتهم تنحصر في الحيلولة دون وقوع تجاوزات من قبل العسكريين، ورغم ذلك فقد أكد لي مفتش الشرطة القضائية (العدلية) لمدينة بسكرة، أنه كان يمارس بصفة اعتيادية، القتل على الطريقة المسماة (La Corvee de bois).

من جهة أخرى، كان بعض رفاقي شاهدين على العديد من الإعدامات المقنعة، بحجة محاولة الفرار، التي كان يمارسها البوليس، ومن ناحية أخرى، لقد كنت شاهدا على اغتيال أحد الجزائريين، بواسطة أحد القتلة المأجورين من طرف البوليس.

كنا مكلفين بحراسة حاجز أقمناه على طريق سيدي عقبة، ومن موقعنا هذا، شاهدنا حشدا من الناس، ملتفين حول جثة جزائري موثوقا، قد قطع عنقه، وعندما أحطنا الشرطة علما بالحدث، أجابنا رجل الشرطة، أنهم كانوا على علم به، وأنهم هم الذين ذبحوا هذا المشبوه، بعد أن أطلقوا سراحه، لقد ارتكبوا جريمتهم، ثم نسبوها إلى (الفلاقة) الذين قاموا بقتل أحد أصدقاء فرنسا على حد زعمهم[1]

(1)- الشاهد الجندي جاك بيشو، قضى فترة خدمته العسكرية في ثلاثة مراكز بالأوراس: =

التنظيم المحكم

في مطلع عام 1956م شرعت الإمدادات الفرنسية والأطلسية تتلاحق بعتادها وثقلها، إلى أن الخسائر ازدادت، وتشكلت حكومة فرنسية جديدة[1] برئاسة (غي مولي- guy moulet) في الثاني من شهر جانفي 1956م وتعيين الجنرال (كاترو- Catrous) حاكما عاما للجزائر في 28 جانفي 1956م إلا أنه وجد معارضة شديدة من المعمرين مما اضطره للإستقالة في 7 فيفري أي بعد خمسة أيام من تعيينه، ليعين مكانه (روبيرت لاكوست- Robert Lacoste) في أول من شهر فيفري، حاكما عاما للجزائر، الذي سمح للمعمرين تكوين المنظمات المسلحة، وأجهزة القمع البوليسية، وقد منحت له الحكومة الفرنسية كل الصلاحيات للقيام بالأعمال الإجرامية من خلال المعلومات التي يحصل عليها عن تحركات المسبلين، وتكوين قوات مضادة لذلك،

= ـ مركز بولغمان، شمال شرق قايس (Idgar-quinet) ولاية خنشلة.

ـ مركز بسكرة، مدينة بسكرة.

ـ مركز منعة، ولاية باتنة.

طالع كل ذلك بالتفصيل وشهد شاهد من أهلها، ترجمة الأستاذ عبد الكريم رمضان، مجلة المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، العدد 1474، ص 26- 31.

(1)- تساقطت الحكومات الفرنسية أمام ضربات الثورة المسلحة، فكانت حكومة منديس فرانس في عام 1954م وحكومة ايدغار فور في عام 1955م وحكومة غي مولي في عام 1956م وحكومة بورجيس مونرو من 03 ماي 1957م إلى 30 سبتمبر 1957م وحكومة فيليكس غايار من 18 نوفمبر إلى 22 أفريل 1958م وحكومة فليملان، التي لم تعش أكثر من شهر، إذ سقطت في ماي 1958م وعلى نفس الوتيرة تساقطت الحكومات الفرنسية تباعاً حتى النصر والاستقلال في 05 جويلية 1962.

وأمام هذا الوضع الخطير، كان على قادة الثورة استدراك الحالة، قبل أن تدك معاقلها، ويوضع عليها ثقل أوروبا العسكري.

وعليه، فقد أعيد تنظيم هيكلة جيش التحرير الوطني، من حيث الأفواج والفرق إلى وحدات وسرايا قليلة العدد، وأعطيت الأوامر للمجاهدين بالتوجه إلى الجهات التي يعرفون مسالكها، حتى يسهل الإفلات أثناء اشتداد الحملات الكبرى، وعدم إطلاق النار إلا في حالة الدفاع، أو للضرورة القصوى، وعدم استعمال الأسلحة الفعالة[1] التي غنمها المجاهدون من أبراج المراقبة[2] خاصة.

في مطلع شهر مارس 1956 كلف القائد مصطفى بن بولعيد نائبه العسكري عجول عاجل، بالاتصال بمسؤولي المناطق في الولاية الأولى، لعقد اجتماع مستعجل في غابة (البراجة) في مركز بمكان يسمى (عطاف).

---

(1)- جيش العدو لا يتورع في استخدام كل قوته البشرية والحربية، لاسترجاع قطعة سلاح فتاك، لذا فإن جيش التحرير الوطني لا يستعمل الأسلحة الفعالة إلا بتوفر شروط منها: الرامي يجب أن تتوفر لديه الشجاعة الكافية، وأن يكون قادرا على حسن استعمالها وبدقة متناهية.

(2)- حدث في شهر ماي 1956 على الساعة العاشرة صباحا، أن قام ثمانية وعشرون مجاهدا من جيش التحرير الوطني بالهجوم على مركز معافة العسكري (جنوب عين التوتة)، وبعد اقتحام محكم، تم الاستيلاء عليه بعد أن سقطت عناصره بين قتلى وجرحى وأسرى، وغنم المجاهدون مدفع جماعي (2 / 7) من برج المراقبة، ومن أبطال الهجوم نذكر: عبد القادر ناصر، عبد القادر السبع، لخضر بن الجبل، علي بن وآخير، الصالح نزار، الصالح زيدان، الحاج عمر العساسي، الصالح جزار، بلقاسم مشلق، لخضر الشايب وبشير منفوخ. إن وجود هذه القطعة الجماعية لدى جيش التحرير الوطني يحتاج لبحث خاص، ومتابعة مضنية من حيث توابعها وزوابعها، ويمكن أن نطلق عليها (لعنة 12 / 7) في الأوراس.

كان الاجتماع تقييميا، حضره عن منطقة آريس: حسين معرفي ومساعده عمار بن شايبة، وعن كيمل عبد الوهاب عثماني ومساعده مصطفى بوستة، وعن خنشلة التيجاني عثماني، وعن تبسة البشير ورتال (سيدي حنّي) وعن منطقة سوق أهراس الوردي قتّال، دام الاجتماع ثلاثة أيام، بعدها عاد القائد إلى المقر الإداري لجيش التحرير الوطني.

اجتماع الأبطال

اجتماع الأبطال

قرر القائد مصطفى بن بولعيد التوجه إلى الجهة الغربية من الأوراس لعقد اجتماع بالجبل الأزرق، وكان لقاؤه بمسؤول الناحية علي بعزي، وأفواج المجاهدين في مكان يسمى (تافرنت) قرب نارة، ناحية منعة، حضر الاجتماع كل من: أحمد بن عبد الرزاق حمودة (سي الحواس) محمد الطاهر عبيدي (الحاج لخضر) محمود بن عكشة، الطاهر غمراس (النويشي) مصطفى رعايلي، علي بن شايبة، عاشور سي زيان، عمر بن بولعيد، عبد الحميد عمراني، أحمد نواورة، محمد الشريف بن عكشة، عبد الحفيظ طورش، أحمد قادة، محمد بن المسعود بلقاسمي، ومسؤول الناحية علي بعزي، الذي أخبر القائد مصطفى بن بولعيد بمظلة شاردة، وجدت في الجبل، تحمل طردا ملفوفا ببطانية، وفيه جهاز إرسال واستقبال.

في هذا الاجتماع تم عرض الحالة العسكرية والسياسية بمنطقة جنوب الأوراس والصحراء، ولأول مرة تطرح، فكرة تكوين الولاية السادسة، وتبادل القائدان مصطفى بن بولعيد وأحمد بن عبد الرزاق (سي الحواس) المعلومات السياسية والخطط الحربية، التي يجب أن تنفذ في الأوراس والزيبان والصحراء، واستبشر الجميع خيرا بالثورة، بعدها أعلن شيخ المجاهدين عاشور سي زيان، انضمامه تحت قيادة مصطفى بن بولعيد بجيشه في صفوف جيش التحرير الوطني.

إنهم فتية أدركوا، أن الاستعمار يعمل بواسطة أذنابه على زعزعة قيم الثورة، وعليهم الوقوف بحزم وصرامة في وجه الدسائس والمؤامرات التي تحاك وتخطط في باريس وعواصم الحلف الأطلسي لتنفذ على أرض الجزائر الصامدة.

لقد كانت كتائب حشود جيش التحرير مبتهجة بلقاء الجبل الأزرق، الذي وحد بين مجاهدي وثوار الأوراس والصحراء، وأوجد صيغة موحدة للتعامل السياسي والتنسيق العسكري بين القادة، وتعانق الجميع وتشابكت الأيدي على العهد ضد الاستعمار، ورددوا أهازيج الظفر وأناشيد الانتصار.

قام القائد مصطفى بن بولعيد بجولة تفقدية في مرابض ومواقع المجاهدين، وكان لقاؤه بالشيخ المجاهد عاشور سي زيان، الذي قدم من منطقة أولاد جلال، وعرضا معا حال الثورة في الزيبان والصحراء، عاد القائد إلى المقر، فأخذ الجهاز، وعمل على تشغيله، وكان رفاقه في القيادة منتبهين لما سيسمعونه.

فجأة، حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ كانت الفاجعة الكبرى والحدث الأعظم، الذي جعل القرارات، تتطاير وتتعالى مع الشظايا، وتعانق أرواح الشهداء: قائد الثورة وملهمها مصطفى بن بولعيد، علي بعزي، محمود بن عكشة، عبد الحميد عمراني وفضيل الجيلالي، وأصيب مصطفى بوستة، مدور عزوي، رابح الوهراني، بلقاسم زروالي، الشريف رابحي وعلي بن شايبة.

أقبلت حينها عاصفة عاتية هوجاء، قاتمة قاتلة، تسف من كل حدب وصوب، تحصب الوجوه وتحف الحشد، الذي كان من شدة الخطب والهول في ذهول ووجوم وصمت رهيب، مسموم، يحدق كل منهم إلى الآخرين في نظرة تساؤل واستفهام، يجتمعون زمرا ويتفرقون، وهم يتراكضون من جهة لأخرى، بينما تبادل البعض كلمات جارحة، وألفاظ قاسية، ذات معنى ومغزى مبيّت.

أشلاء وجرحى، هنا وهناك، ازدادت التساؤلات، وتعالت الصيحات إلحاحا ولجاجة، بينما الأسلحة تصطك بالأيدي، والأصابع تتردد في الضغط على الزناد، والأرجل ترتعد في إقدام وإحجام، الكل متأهب للثار والانقضاض على الجميع، وأطلقت رصاصات مجهولة، أصابت البعض، وأضحى الجو مشحونا بالدخان الداكن.

كانت الحماسة تتجلى في عبارات التشجيع، التي تتبادل بين الحين والحين، في الوجوه الغاضبة الثائرة، والنداءات التي تترى مرددة بأصوات جهورية (الله أكبر) رددها جميع المجاهدين، وقد ثبتوا وصبروا وتفرقوا، ولولا لطف الله العلي القدير، لكانت الكارثة الكبرى، التي لا تُبقي من المجاهدين أثرا ولا تذر شيئا يذكر للثورة في الناحية، بل مقبرة جماعية كبيرة لقادة جيش التحرير الوطني بالجبل الأزرق.

الزّحف التحريري
الزحف التحريري

إنخرطت كل شرائح المجتمع الجزائري من فلاحين وعمال وطلبة في صفوف الثورة التحريرية منذ إندلاعها، ولم يتخلف الطالب عن نداء الواجب منذ اللحظة الأولى لبداية العمل المسلح، وتزايد هذا الدور بتحسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

في مطلع عام 1956م أصبحت مشاركة الطلبة الجزائريين وإلتحاقهم بالثورة أمرا مؤكدا تأييدا لنضال وكفاح جبهة وجيش التحرير الوطني، خاصة لما بدأ الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، يعلن بلا إنقطاع، وينذر فرنسا بدون تردد بالإضراب عن الدارسة في الجزائر وخارجها.

تأسس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بتوصية من جبهة التحرير الوطني، وبمبادرة من جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، وتم توجيه نداء لكل الطلبة الجزائريين، يحثهم على الإنضمام في تشكيل الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وكان من بين الرواد الأوائل: محمد الصديق بن يحي، بلعيد عبد السلام، أحمد طالب الإبراهيمي، علاوة بن بعطوش، عبد الحميد مهري، رضا مالك، لمين خان، وآيت شعلان مسعودان.

إنعقد المؤتمر التأسيسي للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في باريس في الفترة الممتدة بين 08 و14 جويلية بحضور شخصيات ثقافية وسياسية وتمت تزكية أحمد طالب الإبراهيمي رئيسا أولا

للإتحاد وأعلن رسميا عن تأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، واتخذوا موقفا ثوريا مشرفا وحاسما واضحا إتجاه الثورة التحريرية وكفاح الشعب الجزائري.

النضال السياسي للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين: دخل الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، معترك الحياة السياسية موجها نداءاته العديدة للرأي العام الفرنسي، منددا بأعمال الجيش الفرنسي المرتكبة في حق الطلبة الذي تحملوا المضايقات والمتابعات التي مست العديد من عناصر الإتحاد منهم الطالب عمارة رشيد الذي ألقي عليه القبض يوم 07 ديسمبر 1955م واستشهد تحت التعذيب، ومما زاد الأمر تعقيدا رواج إشاعات إغتيال الطالب فرحات حجاج، الذي اختفى بعد إعتقاله، وأخذت القيادة تفكر في كيفية مواجهة الموقف، بعد أخذ ورد تم الإتفاق على عقد إجتماع عام للطلبة للنظر في الأمر.

إنعقد الإجتماع الأول بنادي الدكتور سعدان، مقر حزب البيان سابقا وطرحت قضية الإضراب الشامل والمفتوح وبفضل تدخلات العناصر المنتمية للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، تقررت الفكرة وتبنت ما يترتب عنها من نتائج، وتقرر في الإجتماع الثاني في الغد وفي جو زاده حماسا وجود تلاميذ الثانويات، وتم في الإجتماع بالإجماع الإعلان الرسمي عن الإضراب وصدر نداء 19 ماي 1956م الشهير، حيث قرر الطلبة إنقطاعهم عن الدراسة وفي نفس الوقت الإلتحاق جماعيا بالكفاح المسلح.

النضال الثوري للطلبة الجزائريين: يعد إضراب الطلبة وإلتحاقهم بجبهة وجيش التحرير الوطني بمثابة الخطوة الأولى، التي تلتها خطوات عديدة تدعيما للنضال الثوري، إذ بعد أيام قلائل من إضرابهم عن الدروس والإمتحانات، إلتحق عدد كبير من الطلبة بجيش التحرير الوطني، وهكذا تدعمت الثورة بالعديد من الطاقات الفكرية العلمية من الطلاب في صفوف جيش التحرير الوطني كمجندين، وصانعي قنابل وأطباء وممرضين وفي ميادين أخرى، بالدعاية والإعلام، لتنوير الرأي العام العالمي والفرنسي بصفة خاصة، ونقل أخبار الثورة الجزائرية وتطوراتها بواسطة المقالات الصحفية، قصد إسماع صوت الثورة الجزائرية على الصعيد الدولي، والتحسيس بالقضية الجزائرية الهادفة إلى تحقيق الإستقلال، وإسترجاع السيادة الوطنية.

من هنا، نجد أن إلتحاق الطلبة بالثورة، ساعد على إعطاء بعد سياسي وإعلامي للقضية الجزائرية، التي كانت تحتاج إلى رجال من ذوي الكفاءات العلمية والإدارية والتنظيمة لقيادتها، ونظرا للأعمال التي أداها الطالب الجزائري بكل تفان وإخلاص، أصدرت السلطة الإستعمارية في 1958م قرارا يقضي بحل الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، لكن رغم هذا، لم يتوقف هذا الإتحاد عن عمله وواجبه الوطني، ونذكر بعض الطلبة الذين التحقوا بالثورة التحريرية من ولاية (أوراس- النمامشة) وهم: عمار ملاح، محمد منصوري، مكي حيحي، عبد الحميد غنام، محمد الصغير عبد الصمد، محمد الصالح يحياوي،

الهاشمي عبد الصمد، محمد الصغير هلايلي، عبد الرزاق فلاح، محمود عثامنة، العربي مومن، علاوة بن بعطوش، محمد ملوح، الصالح دوادي، عبد المجيد وزناجي، محمد خنشالي وعبد الحميد عمراني، كاتب القائد الشهيد مصطفى بن بولعيد.[1]

إحتضنت الثورة التحريرية هؤلاء الطلبة الذين أعطوا لها نفسا جديدا في التسيير والتنظيم والإعلام وإستراتيجية الحرب العسكرية والسياسية والصحافة والدبلوماسية، كما إلتحق البعض منهم بالإذاعات في تونس والقاهرة وبغداد وأوروبا الوسطى، وإهتمت الثورة بإرسال العديد منهم للتكوين العسكري في مختلف التخصصات العسكرية، فتخرجت عدة دفعات في سلاح الطيران والدبابات والمدفعية وسلاح الإشارة.

(1)- أنظر الرائد عمار ملاح، قادة جيش التحرير الوطني، الجزء السادس، مرجع سبق ذكره، ص 20 - 34.

المؤتمر والقرارات
المؤتمر والقرارات

في هذه المرحلة العصيبة، شنت قوات الجيش الاستعماري الفرنسي، حملات رهيبة، ومن أشدها هولا، حملة الجنرال (ديفور– Defour) على المنطقة الثالثة[1] أثناءها كان فوج من الأوراس بقيادة عمر بن بولعيد، يتكون من سبعة وخمسين مجاهدا، متواجدا في المنطقة، للتشاور والبحث عن اختيار المكان الملائم لعقد مؤتمر عام للثورة[2]

ومع نجاح هجوم الشمال القسنطيني، وامتداد الثورة عبر كامل الجزائر، كان من الضروري، جعل تنظيم وهيكلة دقيقة لجيش التحرير الوطني، تتماشى والتطور الذي شهدته الثورة، والتحضير لمرحلة جديدة، وهوما تمخض عنه مؤتمر وادي الصومام، الذي حدد استراتيجية الثورة البعيدة المدى.

---

(1)- بدأت الحملة في 29 ماي– 3 جوان 1955 من جبال وقرى: جرجرة، آزرو، تيلا، البيبان، تازمالت، سطيف، وادي الصومام، عين الفراح، مارغنة، عزازقة، اعزوقن، إعكورن، أكفادو، بنبي غليس، بوزناق، إغزر أمقران، أمسوحال، أفرحونن، الخميس، ومناطق أخرى.

(2)- كان اقتراح عقد المؤتمر في المنطقة الأولى بغابة البراجة، أو في المنطقة الثانية بسوق أهراس في جبل بن صالح، أو في المنطقة الثالثة بوادي الصومام بدوار أوزلاقن بالقبائل الكبرى، فكان الاقتراح الأخير، خاصة بعد استشهاد القائدين مسؤولي المنطقة الأولى والثانية: مصطفى بن بولعيد ومراد ديدوش.

كلمة لابد منها

أكتفي بما قدمت في الكتاب الأول، وأحاول أن أختم عملي بقولي: لقد اهتمت جبهة التحرير الوطني برص فئات الشعب الجزائري في اتجاه الثورة والكفاح من أجل الاستقلال، ولهذا نجدها تكسب تأييد المنظمات الشعبية مثل (الاتحاد العام للعمال الجزائريين) و(الاتحاد العام للتجار الجزائريين) و(الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين) حيث قامت هذه المنظمات في النصف الأول من عام 1956 بإضراب ومقاومة واسعة النطاق، كان أهمها الإضراب العام عن الدراسة، الذي شنه الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في 19 ماي 1956 [1]

كما وقف إلى جانب الثورة التحريرية بقية فئات الشعب مثل (الكشافة الاسلامية الجزائرية) و(الاتحاد النسائي) وجميع الفئات السياسية، وعلى المستوى الخارجي، وقفت جميع الدول العربية، وأغلب الدول الإسلامية إلى جانب الثورة التحريرية، منذ أول أيامها، وانضمت بعد انعقاد مؤتمر باندونغ في أفريل 1955م، أغلبها من الدول الأسيوية والأفريقية التي حضرت المؤتمر، وعددها خمس وعشرون دولة، وهذا ما ساعد على البروز في المجتمع الدولي.

---

(1)- تخليدا لذكرى إضراب الطلبة عن الدراسة وإلتحاقهم بصفوف الثورة التحريرية، قررت الحكومة الجزائرية بعد الاستقلال اعتبار هذا اليوم (19 ماي) من كل عام عيدا للطالب الجزائري.

وبعد هذا النجاح الباهر، الذي حققته الثورة في المجالين الداخلي والخارجي، وبعد استقلال الدولتين الشقيقتين المجاورتين تونس والمغرب، وجدت قيادة الثورة، أنها بحاجة لعملية تنظيم جديد، فتداعت إلى عقد مؤتمر عام بالداخل، كي يقرر الخطوط العامة للثورة، وتنظيم الجزائر في المستقبل، وتم عقد هذا المؤتمر بالفعل في (وادي الصومام) في 20 أوت 1956 فكان هذا التاريخ حدا فاصلا بين مرحلة اندلاع الثورة التحريرية والمرحلة التي تلتها، وهي مرحلة التحرير والنصر والاستقلال.

انتهى بعونه تعالى الكتاب الأول

محتويات الكتاب

للمراسلة والاتصال

الدكتور محمد العيد مطمر

العنوان: ص ب 53 الإخوة خزار، باتنة (05000) الجزائر

البريد الالكتروني: Email : drmetmer@hotmail. fr

الموقع الالكتروني: Siteweb : www. Drmetmer. Com



الكاتب في سطور

د . محمد العيد مطمر

- ولد في كيمل (الأوراس) ولاية باتنة، الجزائر عام 1949.
- حصل على شهادة الدكتوراه في علم الإجتماع. التاريخ على أطروحته الموسومة بـ (الشخصية القيادية ودورها في تنمية المجتمع) هواري بومدين نموذجا من جامعة باجي مختار عنابة بمرتبة مشرّف جدا عام 2005.
- مؤلف العديد من الكتب، منها: فاتحة النار، القائد مصطفى بن بولعيد1988م حامي الصحراء، أحمد بن عبد الرزاق حمودة، العقيد (سي الحواس) 1992م العقيد محمد شعباني وجوانب من الثورة التحريرية الكبرى، 1999م هواري بو مدين، رجل القيادة الجماعية، 2002م رحلة إلى تيمقاد، 2011م، طبعت هذه الكتب بدار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.
- شارك في تأليف كتب : تاريخ الأوراس، والتركيبة الإجتماعية والإدارية في أثناء الإحتلال الفرنسي (1837 - 1954) ثورة الأوراس 1916م معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954م المرحلة الانتقالية من 19 مارس إلى سبتمبر 1962 مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، حياة الشيخ المجاهد محمود الواعي (1919 - 1998)-رحمه الله- هذه الكتب من إنجاز جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة بالأوراس.
- رئيس الجمعية الثقافية للبحوث التاريخية بولاية باتنة المعتمدة عام 2000م .
- يعمل حاليا أستاذا محاضرا بكلية العلوم الإجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر، باتنة- الجزائر.
- تحصل موقعه في شبكة الأنترنيت على أحسن موقع شخصي في الجزائر عام 2013.


ISBN 994726720-2
9789947267202